



مَعْلَكِي

الْقَلْبِ وَالْأَعْضَاءِ



لِلْعَلَامَةِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ

الْحَبِيبِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمِ بْنِ حَفِظٍ

ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي كُرَيْبٍ بْنِ سَالِمٍ

مملكتنا
القلب والأعضاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب

(٢٠٠٧/١٨م)

الجمهورية اليمنية - صنعاء



مركز النور

للدراسات والأبحاث

تريم - حضرموت ت: ٤١٩٤٤١ - ٠٠٩٦٧٥ فاكس ٤١٩٤٤٢ - ٠٠٩٦٧٥

توزيع

دار الفقيه للنشر والتوزيع

أبوظبي ت: ٦٦٧٨٩٢٠ - ٠٠٩٧١٢ فاكس ٦٦٧٨٩٢١ - ٠٠٩٧١٢

اليمن تريم - تلفاكس: ٤١٦٩٦٧ - ٠٠٩٦٧٥

موقع الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ على الإنترنت

www.alhabibomar.com

مجلد القلوب والأعضاء

للعلامة الداعي إلى الله
الحبيب عمر بن محمد بن سالك بن حفص
ابن الشيخ أبي بكر بن سالم





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده المصطفى الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار في هديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن مزايا الروح الأدمية، وخصائص الإنسانية إنما يتوصل إليها وتبرز في حيز الواقع بواسطة وجهة قلبية صادقة، ومنهج قويم تنطلق على ضوئه الأعضاء في توجهاتها وتصرفاتها. فافتضت حكمة الله تبارك وتعالى إبراز الخيرات وحقائق الكرامة لهذا الإنسان عند استقامة قلبه وأعضائه، وحصول الأضرار وأنواع الشرور والهوان له عند خروجه عن الاستقامة قلباً وأعضاءاً.. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١٠) وقال تعالى: ﴿وَالْوِاسْطِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ (١١١) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (١١٢) وقال جل جلاله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١١٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (١١٤).

وقال سبحانه وتعالى ميئاً وضع الإنسانية وما يؤول إليه أمر آدم وذريته إلى يوم الدين عند إخراجهم من الجنة: ﴿فَأَمَّا يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي خَلَقْتُكُمْ مِّن نَّارٍ وَنَارٍ فَلاَ يَصِلُ إِلَى النَّارِ وَلَٰكِن يَصِلُ إِلَى النَّارِ﴾ (١١٥) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١١٦).

وأهل الإسلام اليوم في حاجة ملحة إلى أن يكشف لهم عن حقائق هذه الآثار العظيمة لشئون الاستقامة القلبية واستقامة الأعضاء، وأن يزاح عنهم ستار الغفلة والتغافل والإهمال والتجاهل الذي بسببه يعمهون في كسب ما يجلب لهم المشقات ويظهر فيهم الآفات.

وقد سجلنا دروساً تتعلق بهذا الشأن بعنوان (مملكة القلب والأعضاء) وقد قامت بنقلها كتابةً وتفرغها من شريط التسجيل إلى الأوراق إحدى الأخوات الفاضلات جعل الله سعيها مشكوراً وعملها مبروراً، واعتنى بها وخرج أحاديثها الموفق الفاضل عبد الله بن علي بن خميس، وساعد في تصحيحها صاحب الاجتهاد والوجهة الطيبة المباركة الحائز نصيباً من العلم الشرعي النافع حسين بن عوض با خميس.. فجزاهم الله خير الجزاء، وبارك الله فيما قاموا به، وجعلهم ممن يُجري على أيديهم الخيرات والمنافع لهذه الأمة الإسلامية أمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فخرجت تلك الدروس من الإلقاء والتسجيل الصوتي إلى هذه الكتابة والمنظور العيني ليكثر ويتيسر الانتفاع بها والإفادة والاستفادة منها.

جعل الله كل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وكتب به النفع العظيم. وبالله التوفيق وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

عن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

الدرس الأول

الرابط بين الأعضاء والقلب

الحمد لله الملك الحق المين، يؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أوحى إلى عبده المصطفى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وأشهد أن سيدنا ونبينا وهادينا إليه ودائنا عليه محمداً عبده ورسوله، المؤمن على وحيه، المبلغ عن الله تبارك وتعالى ما أمره بتبليغه للخلائق على أحسن الوجوه وأكملها، فاستجابت القلوب التي سبقت لها كريم السوابق من حضرة الخالق جل جلاله فلبت النداء وأتبعته سبيل الهدى.

أما بعد: فإن الحق تبارك وتعالى قد جعل في الإنسان خصوصيات وميزات ميّزه بها، وجعل لشأن مملكة قلبه مع أعضائه وجوارحه قدراً عظيماً ومكاناً فخياً يترتب عليه حياة الملك العظيم الكبير الدائم أو فقدانه وخسرانه.

فأنعم بتلك المملكة التي يكون الملك الكبير نتيجة من نتائجها، ويُسست المملكة التي تُسبب فوات الملك الكبير، المُشار إليه بقول العلي الكبير في جتته: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾

خاصية قلب الإنسان

إن الإنسان بخاصية القلب التي آتاه الله اكتسبت أعضاؤه وجوارحه في تصرفاتها وحركاتها وسكناتها منزلة خاصة ومكانة رفيعة وشأنًا خطيرًا.. لذلك وجب على الإنسان أن يتدبر ويتفكر ويعلم أن ما يقابله من جميع تصرفات هذه الأعضاء وتفاعلها مع الأزمان والأمكنة والأحداث، كل ذلك منوط بشأن موقعها من ذلك القلب الذي هو محل نظر الرب جل جلاله وتعالى في علاه.

لقد جعل الله الكائنات مسببات بحمده، ولكن جعل نوعًا من المعرفة به يحمله العالمون، وهم العقلاء من هذه الكائنات الإنس والجن والملائكة، فالخصوصية لهذا الإنسان هي تهيؤه وتأهله لمعرفة الإله الرحمن جل جلاله، الخالق القاطر المبدئ المعيد الذي منه المبتدأ وإليه المصير؛ وإن هذه الخاصية التي هي معرفة الله لا تكون أبدًا بشيء من الجوارح، وإنما بهذا القلب الذي هو خاصية الإنسان وهو فخره وعزه إذا ظفر بمعرفة الله تبارك وتعالى وسبب نجاته وحيازته للملك الكبير.

أساس العلاقة بين القلب والأعضاء:

وإذا كان الأمر كذلك فجديرٌ بالإنسان أن يعلم العلاقة بين أعضائه وقلبه، وأن التصرفات المختلفة من المؤمنين ومن الكفار، من الأخيار ومن الأشرار، من المفسدين ومن المصلحين في هذا الوجود لها تعلقات وثيقة بتلك القلوب، وعليها

يترتب إفسادها وإصلاحها، وحيرتها وشرها، كل ذلك من أثر الاستحسان الذي يحصل بين تلك الحركة والجارية وبين المستقر في القلب المعلق بها.

وبدا علمنا ذلك التفت بظن إلى معرفته تتعق بالتموس التي إذا جهلها الإنسان فهي تبيحة لحرمة المعرفة بالإله، قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ فَانْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لا يستوي أضحى الدر وأضحى الخنة أضحى الخنة هم الفاهزون ﴿الله﴾ «مشيراً إلى أن أصحاحات الجنة هم الذين ذكروا الله فيه يسره ولم يسوا أنفسهم، فانصطت حركتهم بالخوارح في هذه الحياة مدة التكليف، انصطت بصاط من الإيمان بالله، يوح هذا الضابط لتلك الحركات والسكنات أن تكون العدة والبراد للمعاد والنسب للظفر بالإسعاد والإمداد من حصرة ملكهم ورحيم الملك الحق الخواد، بالعم المقيم والمثلث العظيم، كل ذلك حاصل هؤلاء الذين أقاموا حركات حوارهم وسكناتها على ضابط من الاتصال بالدافع القلبي الذي لا تحصل الحركة ولا السكنة للحارحة إلا به، وهذا الدافع القلبي يسي على ما انتهى إليه القلب من إدراك سر وجوده، وبظننه إلى حكمة خفيه وحكمه تكويه وحكمة وجوده في هذا العالم، وما انتهى إليه واقف به من مرلته ومكاته في هذا الوحد

كل هذا يسي عليه امتداد الرابطة بين القلب وبين هذه الخوارح؛ ولأجل ذلك فإن جميع العادات المتعلقة بالخوارح لها مقاصد في الشريعة منوطة بالقلب،

ورُبِطت أعمالُ الطاعات بمختلف أوصافها دُنيةً اتى منعها القلب، وردافع
والباعث الذي يبعث على الأخذ أو الترك، يبعث على الإطلاق أو الانقراض،
يبعث على العسول أو الرفص، لذلك كان الإيهاً بالله ورسله أساساً في تسيير
حركة الإنسان، وفي أحده وعظاته، وفي قوله ورده، وفي رصاه وعصه

ولكن العملة السائدة التي نعم كثيرٌ ممن أحد الإيهاً مأخذاً بغير حقه، بغير
الحذ الذي يذوق به، ممن شهد أن الإيهاً مجرد استسلام باللسان أو إفراغ بالثوات
من اعتقاد وحوود الله تبارك وتعالى وقدره وإحاطته بالخلق وأن المرحع إليه، وكل
ذلك يكون في قصورٍ عن أن يأخذ مكانه من القلب فيُسَيِّر هذا العبد على هد
الأساس فيما يقول وفيما يفعل وفيما يتحرك وفيما يسكن.

وهذه العملة جعلت كثيراً من المؤمنين يتشبهون تشابهاً أكيداً مع غير المؤمنين،
ولأجل رفعها حياء الشرائع هذه الأعمال وجعلت لنا في الأرملة مواسم كشمير
رمضان مثلاً، وموسم الحج، وموسم تحدد عام جديد، وموسم ذكريات أشهر
حرم من بين الأشهر، ذكريات ولادة المصطفى عليه الصلاة والسلام، بعثته،
هجرته، غزواته، إسرائه ومعراجه وغيرها.

كل هذا يشدُّ الرِبطَ بين تصرفات الخوارح والمستقر المستكن في القلب من
حقيقة الإيهاً لإراحة غبش هذه العفلة السائدة التي أحد استقبال أناس للأزمة
والمواسم وللأعمال التي ينطلقون فيها مأخذاً عادياً أعد الهجة، أعد الحكمة،

أبعد الخصوصيه في تلك الروابط، وفي تقوية ذلك الصابط، ومن هنا وحب على المؤمن أن يدرك إدراكًا تامًا قويًا أنه ذو قلب هو محل نظر الرب لا اعتبار لما يتعاطاه بحوارحه إلا على حسب ما يستقر ويثبت في ذلك القلب

حقيقة القلب وبيان مهمته

فأنت أيها الإنسان بالقلب وبالروح إنسان لا لهذه الحوارح، إذ علمت ذلك علمت أن الخصوصية لك في تهديد النفس وبركتها وإدراكك لسر قلب المودع فيك، وما عني بالقلب تلك القطعة من اللحم التصويرية الشكل بين الرئتين، واخديث عنها مما يتعلق بعلم الطب والنظر في تشريح الأعضاء، ولكن عيب تلك الخصوصية السامية، والمزية العالية، الأمر الرباني الروحاني، اللطيفة الإلهية المدبرة المخاطبة التي يترتب عليها الثواب والعقاب، ويترتب عليها أمر الخير والشر وأمر المحاسبة والمؤاخذه والمثوبة والحراء، هذا السر والبصمة الإلهية، المعصية لكل إنسان هي محل التكليف، فمن فقدوها وفقد العقل فلا تكليف عليه

إذن فليست مهمة هذا القلب أنه مجرد حاسة نكتسب بها تغيير الهائم، وتغير الهائم أن نغير بين ما يجمع جسدها وما يصره ومن كثير من مصاحبي الوقيّة الآلية التي تتعلق بعيشتها المقصية، هذه الميرة ليست ميرة الإنسان، بل تشركه فيها الحيوانات المختلفة بأمر الذي قدر فهدى، حتى الحشرات، حتى ممكة النمل أو النحل بعجائب ما فيها تهتدي هدايات عجيبة إلى تغييرات عريضة في هذا الصدد،

لكن خصوصيتك وراء ذلك، وهي أن غير بين ما يترتب عليه ثوابٌ أبدي أو عقاب شديد، وما يوجب الخلد في العقاب أو الخلد في النعيم والثواب، بل حقيقة معرفتك بعظمة الإله الذي خلعت وحق كل شيء من حوث

فانت صاحب مملكة عظيمة هذا القلب، وبأوتيت معه من هذه الخوارج والأعضاء المؤثرة بأمره، بحكم الترتيب الإلهي السديع الذي فطر عليه الإنسان، فحذيرك أن تتعرف على فسك ومرايه وأن تأخذ خصوصيته وأن تدرك الأمر المرتب على ذلك من عظيم العاقبة وحظر المصير، ومعرفتك هذا لقب تكون قد عرفت نفسك وعرفت ربك حل حلاله، وتتهيا بذلك لاستقبال المواسم كرمضان المبارك استملاً لحسن، ولتتعامل التعامل اللائق، تعامل المخلوق الذي يدرك أن له خالقاً من فوقه يستعد للقاءه..

جعلنا الله كذلك، وهياناً تحس المصير، وكريم اللقاء مع الرب الأعلى على خير ما يلقى به من رضى عنهم وارتضاءهم وأرضاهم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

28. 18 = $Y_2 \cdot 100Y$ 1/44442 = $C_2 \cdot 100C_2$ 2 4-5 7 NAME 4 202 210 5074

أُولَئِكَ كَلَّا تَعْمَرُ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْعَصِيُّونَ * . . . واطر إلى
الربط بين القلوب والأنصار والأسماع في قوله تعالى * هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا * وذلك سرُّ الصلة بين
الأعضاء وهذا القلب، وذلك ما تقدمت الإشارة إليه في الدرس السابق.

دلالة الربط بين القلب والجوارح

في هذا الربط الإلهي بين السمع والبصر والقلب لإشارة لكل سامع وبصير
إلى وحوب التبه لخطر السمع والبصر، وقد جمع الحق عز وجل بين الثلاثة فقال
* إِنْ أَسْمَعُ وَالْبَصْرُ وَالْهَوَاذُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوحًا * . . . ولما كان في
معنى السمع والبصر إشعارًا بالإدراك واليقظة والتنبيه، حُجِّلَ البابان إلى القلب
السمع والبصر، وحُجِّلَ تأثير ما يصل منه إلى القلب قوياً عليه

لذلك وحب على المؤمن . . . وقد أدرك سرُّ الربط بين قلبه وجوارحه أن لا
يعمل قط عن تقويم القلب على الوحه المرضي الذي به تنصسط الجوارح في
تصرفاتها فيسلم من حركة أو سكونٍ تتحول إلى حسرة وندامة يوم الصمام،
وشئت الندامة بدامه يوم القيامة قال تعالى * وَوَصَّعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُحْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنْزِلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا * . . .

تقويم تصرفات المسلم

أيها المتحرك، أيها الناطق، أيها السامع، أيها الماشي، أيها الواحد، أيها السرافص،
أيها المصروف بأي أنواع التصرف وأنت في دائرة الكليف في هذه الحياة فَمَ
فبك على الروح الذي به يحس تصرفك ولا تعرض بحسرة واندامه
* وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْخُسْرةِ ذِ قُصِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي عَفْلةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *

هذا التقويم يأتي بحس النظر في حدود التي جعلها الله هذا القلب وقد
سلط الله على الإنسان عصب وشهوة، وجعل الحكمة في ذلك أن يميز بين
المريقين، بين من يستعملهم فيم يعود بالنفع ويوحب السعادة، ومن يرسبهم
حيث اهوى وحيث لا يفرق بين حرج المصير بحركته والأخرى والسكينة
والأخرى.

فيا أيها العاقل جعل الله العصب فيك لتأخذ بحديث في الكيف بمجاهدته،
وذلك بأن نجعله حاصلاً مُنفذاً، لأمر العقل والشرح، فتعصب في الوقت الذي
دعاك فيه الحق إلى أن تعصب، فيكون عصبك لله الذي خلقت كذلك جاء في
سيرة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يعصب لله، ويرضى لله

ويهدأ العصب تقوم الشجاعة، وبه تُحمى الحدود والحرمان والأعراض
والأموال، وبه تُهدب النفس الشرهه، وتعدل الشهوة وتخرج عن عيها وعن

عنتها إلى اعتداها واستقامتها. والعصب إذا نقوم واستقر على الميراث أثر صفات
صاحبة عند الإنسان وصيره إنساناً يُحسن التصرف، إنساناً يتهمس لأداء المهمة
وإذا خرج العصب عن اعتداله إما إلى الإفراط أو إلى التفريط حصت
الصفات السيئة التي تفقد الإنسان حقيقة إنسانيته وعظمة مكانته، ويتحول
بالإفراط فيه إلى متهور أو إلى مترنص مؤد كنه سعي صار يريد الانتقام من كل من
لم يوافق على شيء من أهوائه أو من مراداته. فيحدث بذلك فوضى واضطراباً في
المجتمع.

وإذا فقدت أصلاً ودلها التفريط حصل من ذلك ديانة، وحصل من ذلك
سحافة، وحصل من ذلك فتح الأبواب لاعتداء المعتدي وطلم الظالم، بل ولصياح
القيم والمادى. إذن فلابد من وجود اعصب لكن مقوماً معتدلاً

تقويم أعمال الجوارح على الرابطة الصحيحة بالقلب

يتوصل إلى تقويم الصفات بوسائل متعددة، ومنها ما سقت الإشارة إليه من
أنواع العبادات المفروضة كصيام رمضان، وهو أمر متصل بالتهذيب للإنسان إذا
صدر الصوم من دوافع قلب آمنة، ولذا جاء الخطاب بـ «يَتَأْتِيهَا الدِّينَ ءَامُوا»
وذكرت السبحة «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» كما ورد في الآية «يَتَأْتِيهَا الدِّينَ ءَامُوا كَيْتَ
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَتْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
فينبغي أن يكون الصيام مدافع للإيمان، وأن يكون للصوم في ذات الإنسان نتيجة،

وهي تبت عن التقوى، فاعتدل عصبه، واعتدل شهوته كدلت، ه دلت ح،
في الحديث: «يلدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»^١.

كما نقرأ عن الصلاة قوله تعالى: رَبِّ الصَّلَاةِ تَهَيَّ عَلَى الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ^٢ . نحن لا نرى شئ صريحاً في الصلاة - حريراً عن الفحشاء، و
المسكر، لكن إذا جاء له دفع الصلاة من قلب يوم من يوم صلي له شئ دلت
مرفقه وتقريباً حيدر المرفقه وسط سواد، ونحوه عند من يصلي في قلبه يهرب
من يصلي له فمكره ما يبعده عنه من منكرات وخواص والآفات والمخدرات
كل ذلك يوصف في حقيقته شئ يعتدل عنه كثير من الناس، وهي ت
العداء بحوارح مربوطه بشئون قلوب فكذلك المقصود الأعظم هو ه
القلب، فليس مسألة عمل حوارح ه - وصل إلى مستوى من ه - ح، لكن
القصده هو الأمر المستقر في القلب ما هو؟

كل دلت شيئاً على ه لاند من شوية عرب حوارح على ه خطه صحيحه
بقلب، بأن يكون اندفع دفع صدق قسمة على لاحتلاص نديت حل حلاه ه
نقرأ في الحديث من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

(١) رواه أحمد وابن أبي شيبة

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان - باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان (الحديث، ٢٨) ومسلم في كتاب صلاة

المسافرين وقصرها، باب التمرغيب في قيام رمضان (الحديث، ٧٦٠)

وقوله أيضاً «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» في أطلق رسول الله لفظ الصيام ولا القيم، وما قال «إيماناً واحتساباً» إلا لعظمة حسن تعليمه، ولعظمة قوة مداركه ومفاهيمه صلى الله وسلم عليه وعلى آله فهو المؤتمن على التركية للإنسان كما يقرأ في آيات القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾...، فهذا نقرأ قوله صلى الله عليه وسلم «إيماناً واحتساباً» بربطهما لاسعادت الصحيح عند إقبال على الصوم أو على لقيام للصلاة وكذلك يأتي في بقية الأعمال الصالحات

إذن هناك أمرٌ عاثرٌ عن أدهم كثير من المسلمين، وهو ربط طاعات الخوارج بمعانٍ تحلُّ في القلوب، فيجب أن تنته له، وأن نذكر، ونستشعر اعتباره لدى الذي نعبد ونعمل له، وهو الله جل جلاله ولا إله غيره

ثنا الله على الإخلاص لوجهه الكريم، والصدق معه، وكسا أعمال حوارحنا بأزوار صفاء القلوب وصدقها معه تعالى.

وصلى الله على سيِّه المصطفى سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

(١) روه البحري في كتاب صلاة بر وبع - باب قصر من قام رمضان (الحديث ١٩٠٤)، ومسلم في كتاب صلاة

المساكين - باب الترغيب في قيام رمضان (الحديث ٧٥٩)

الدرس الثالث

اللسان وأثاره

الحمد لله مقلب القلوب شق قلب من يشاء على ما يحب * يُشَتُّ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَعْدُ اللَّهِ حَرَّةٌ وَسُلْ
الْظُّلُمِينَ * وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * ، وشهد ب لا اله إلا الله وحده لا
شريك له، وشهد أن سيد محمد عبده ورسوله، قل ب في حرة ألا وإن في
الجد مضع إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا
وهي القلب * اللهم صل وسلم على سيد محمد الذي أحبت به قلوب من
أمن وأتبعه واهتدى بهده، وعلى آله وصحبه ومن سار في مسلكه في يوم الدين

أما بعد: فإن الحق برك وتعالى جعل للقول الصادر من الإنسان دافعاً من
القلب وأثراً عائداً إلى القلب، وذلك في مختلف طعاب وأعصابي فإن عمل
الحوارج مصدرها من القلوب، ولكن بعد صدورهما على حورج يعود منها ثراً
معكسة إلى القلوب، فبطعة إذا أقل عليها المؤمن محض نوحه به سواء كانت
قراءة أو صلاة أو صدقة أو صوماً أو حجاً أو عمرة أو صبه لرحمة أو غيرها
يكون قيامها بها بدافع من القلب مرضي لله، فعندما يفعل ذلك يفعل من أنواع
الطاعات والعبادات يصدر معه نور فيعود إلى القلب منه نور ثمريد القلب نوراً

وكل معصية يصيب بصده من القلب، فهو معصية حصده يحظر على القلب، وقد كان قلب غير مفهم على ميراثه من القلب لا يروى عن الصادق عليه السلام جاء عن حبيب بن شريح، سأل عن الخطر الذي، ويتحلى معه في حدوده في معصية لمصده فيها ضمة بعدد في قلبه في حدودها ضمة قلب، من هذا حاله في ذاته من قاروف ديباً فرقه عقل لا يعود إليه يد، وذلك لأن عده لا يسمع تحت سبعة حسنة وتمحوه، فهو حجاب هذه حسنة دون سبعة فيها لا رادادها تحت بشرى، وفي وحدت سبعة فيها لا رادادها في ذات عدها لا تصير تحت من لا أثر له في عده من المعصية سبعة فكل ذلك تحت على هذه الأسس وفصول في نفس لا يعود إليه وهو لا يروى في رتبة قوي لا يكون في القلب وتأثير عليه أيضاً.

أثر العبادات في تقوية القول

لأنه بين العبادات وبين تقوية القول قوة، فجد في مثل الصلاة صفة حسنة، وفي حضرات نحوي يطل الصلاة، نشأ من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يخطب بالسلام في الصلاة، ولا يصح إلا ذلك خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي أسبي ورحمة الله وبركاته وقد قال أصحابه كان صلى الله عليه وسلم يعلم الشهود كما يعلم السورة من القرآن، وفي كل رويته تشهد السلام عن أبي أسبي ورحمة الله وبركاته فضع الإنسان في

(١) أورده الإمام العراقي في الإحياء، وقال العراقي لم أجده أصلاً

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس في كتاب الصلاة - باب التشهد في الصلاة (الحدِيث ٤١٣)

بصلاة من الكلام صلاة مع أي كان من النكاس وأي محله في من محله وقت

إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس

ويحدث في النقص من متى حصل الله محله وسببه ثم إن من بدع قول الزور والعمل به فليس به حاجة في أن بدع طعامه وشرابه
عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلى الله عليه وسلم»
زور وهو كقولك بحدك بحدك
«الصوم جنة وقاية فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصحب ولا يفسق
فإن أخذ سائيه أو شاعه فليقل إني صائم» .»

ومن هذا وحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلى الله عليه وسلم»
لقد سمع جميع حرمي بعد ذلك في حديثه، فلا ينبغي معه لا شيء به في حديثه،
وإنما سمعته لأعني نصاحبه هذه جهاد في سبيل الله وحده، مصطفى صلى الله
عليه وآله وسلم يقول: «صلى الله عليه وسلم» من قليل قبل في معك معكم معكم
معكم معكم (أحياناً) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلى الله عليه وسلم»
بما لا يعبه ويحل بها لا يعبه
الأسه من في كلامه
ويشعرون فيها

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة، وصح ما كان من إسناده (حدث ٥٣٧)

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم - باب من بدع قول الزور والعمل به (الحديث ١٨٠٤)، ولبستاني وإسناده

(٣) رواه أحمد عن أبي هريرة

(٤) رواه الشافعي في شعب الإيمان

فتفرّ عندهم في قلوبهم ويبقى أثرها فيتمطون بها كثيراً في حياتهم، وتكون العهد والمسؤولية على ذلك الأب أو تلك الأم التي عملت وما عملت أن أعلى شيء عند الإنسان قلبه، وأن هذه الأمانة - قلب هذا لصبي منصّوة بها عبقها ومطوق به عبق أبيه، ثم شعروا بذلك وحسبوا الأمانة في قلوب صيانتهم وكلموا أو فعلوا أفعلاً سبباً أمامهم أثرت في هذه القلوب فأفسدتها، فثبت الفساد في الباشي إلى آخر عمره والعياذ بالله تبارك وتعالى

ومن هنا نعلم وحب التسهّل لم يقدر ولما يدور على السب عند أطفالنا وأسرنا وحيث ما كنا، ونجد الأمر صريحاً بذلك من الله في قرآنه ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . . . ونقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . . . أما أن نقول ندرس حُسنًا ﴿ حُسْنًا ﴾ تأمل "حاء بالمصدر، ولم يقل (حَسَنًا)، يعني أطلب من الكلمة ما تُثَلّ حقيقته الجمال والحسن، قلها ليكر قوبك حُسنًا لا إحسان وفي الآية الأخرى ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فإذا كانت كلمتان كلتاها حسنة فاطلب التي هي أحسن.

تقويم اللسان من أسس الإيمان

هذه التوجيهات العجيبة عملت عنها قلوب كثير من المؤمنين، وما دأك إلا لطلال تقويم القلوب على مقتضى الإيمان، وصار هذا الفصل بين الجوارح والقلوب مؤدباً بفصل اللغات الإنسانية عن ناريها وعن حقيقة القرب من مولاهما؛ ومن هنا جاء الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو

ليصمت» .. متى حار لك أن تستحف هبة وعظمه الذي أعطاك الملكة على الصمت تنطلق مع مرادك فيما تقو و قد حالته وعصينه و حرحت عن أمره^(١)

«وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» . اجعل قولك يمثل الخير فعشقه القلوب والأرواح، ويفرح به السامع له.

فلأخذ من دروس الصلاة ودروس الصوم هذا المعنى مفهوم لأسس وتحت الكلمات التي جاء اسحدير منها، إلى حد أن قل اسي صلى الله عليه وآله وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» ، وفي رواية «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار»^(٢)..

فيحب ونحن أمام المعاملة مع الحق تبارك وتعالى في عهدة التكليف أن نراعي الكلمات الصادرة منا، وننوح صيحات نقول احسن و لاحسان لنقول اسي» فيه يُذهب ثواب الصوم على الإنسان كدنه أو عيبه أو بيمه أو حدث كدنه إلى غير ذلك «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» فلأخذ الدروس من أنواع العبادات فيما يتعلق باللسان

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب باب من كان له من الله و عظمه لا يحسن له ما روى في كتابه البخاري ٥٦٧٢ ، مسلم في

الإيمان- باب الحديث عن إكرام الجار والصفا (الحديث ٤٧)

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق- باب حفظ اللسان (الحديث ٦١١٣)

(٣) رواه الترمذي في أبواب زهد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب فمن تكلم بكلمة لم يصحح لسان

(الحديث ٢٤١٦)

أثر استقامة اللسان على الأعضاء

لما كان تأثير اللسان قوياً جاء في الخبر أن الأعضاء تستمد لسان كل يوم قوياً له ، اتق الله فيما فإنما نحن بك إذا استقممت استقمت وإذا اعوججت اعوججت . ولما قال الله تعالى : " وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا إِنِّي هِيَ أَحْسَنُ " . ذكر عنة كبيرة قوله : " إِنْ أَسْتَبْطَنَ بَرَعُ بَيْنَهُمْ " أي إذا حاذروا عن أفعال حسن وتكلموا بغير الأحسن . يستعني شيطان فرصة، فهم يفتحون ميادين للشيطان، ليدخل بينهم من عدم شأهم من نفوس . وقد قال صلى الله عليه وسلم : والكلمة الطيبة صدقة ، فيجب عند أن يحمل هذه الصدقات أن من يتحدث معاً ويتحدث معه ، وإن نعمة فضيلة نفوس حسن . وسبحه بن الرب تذكر وتعالى أن يعطيا من الإبرار ما نفوي به على صسط أسنان . وقد قال بعض عرفان ما رأيت نفوي . ساب في سده إلا رأيت أثر ذلك على جمع أحواله وشؤونه .

نهم قوم نُسبت و بطقه بذكرك وبه يقع اللسان ، وأعدت من كلمته تتحول إلى عذاب مؤلم لا يُطاق يا مَلِكُ يا حَلَّاقُ يا رَبَّ العالمين .

وصلى الله على المصطفى محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين .

(١) رواه الترمذي في أبواب الرهد - باب ما جاء في حفظ اللسان (الحديث ٢٥١٨)

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الأدب - باب طيب الكلام ، حديث (٢٨٢٧) ، وسماه في كتاب بركة - باب من كان معه

الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (الحديث ١٠٠٩)

الدرس الرابع:

اللسان وبناء الفرد والمجتمع

خَصَدَ لَهُ مَلِكٌ حَيًّا شَهِيدًا لَهُ عَلَى لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 لَهُ، فَوَيْلٌ لِحَيٍّ لَهُ مَلِكٌ يَوْمَ يُسْجَعُ فِي عَصَا شَهِيدٍ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 وَ سَيُودُهُ، مَنْ حَادَّ عَلَى حَيٍّ وَحَدَّ لَأَمِّهِ، مَنْ حَادَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةُ عَصَا شَهِيدٍ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 وَحَدَّ لَأَمِّهِ عَلَى سَبْعٍ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 وَإِذَا فِي سَبْعٍ حَادَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 عِلَاقَةُ بَيْنِ لِسَانٍ وَتَحْبٍ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 تَأْثِيرُهُ يُصَدِّقُ فِي تَحْبٍ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 عَلَى لِسَانٍ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 حَقٌّ تَدْرِكُ وَتَعْنِي لُفْظُ حَالَةٍ (بَدَ) حَادَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ
 اللَّهُ لَكُمْ بَلَدٌ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ

أثر اللسان في العلاقة بين الفرد والمجتمع

كَمْ مِنْ أَثَرٍ عَظِيمٍ نَسَبَ بِصَدْرِ مَنْ لِسَانٌ عَلَى لِسَانٍ وَعَلَى مَا حَادَّ بِهِ، وَ لَأَمِّهِ
 ذَلِكَ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ وَحَدَّ لَأَمِّهِ

وأن نقول التي هي أحسن، وبذلك نتجنب الأسر كثيراً من أسباب الشك
وأسباب التناعد وتقطع الصلات والبراعات التي تدور، باحتبار البعظ أحسن
وتعويد الناس أن يقول ما هو أحل، وتربية الأطفال على ذلك وتشثتهم على أن
لا يسمعوا القول السيئ، وهذا هو الأصل في تربية النساء، وأما ما يلحق ذلك
من التحدير من تحب كلمات لسوء فيه يأتي بعد هذا الأساس

والأصل والأساس أن يُحْتَبَ استيعاب الدعوى وكلام السوء، لأجل ذلك وحدد
الأمر في القرآن بالإعرص عن الدين بخصوص في آيات لله يدرك ويعلى * وإذا
رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ *
وقال تعالى في الآية الأخرى * فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ بَلْ إِذَا مِثْلُهُمْ * -
أي بالجلوس معهم والاستماع إليهم تكونوا مثلهم في اسوداد القلب بالرضا
بالقول المسحط لله سبحانه وتعالى

ومن هذا يدرك أن استيعاب الألفاظ السيئة سواء جاء عبر كمبيوتر أو عبر شاشة
التلفزيون أو عبر إذاعة أو عبر شريط الكاسيت أو CD أو أي وسيلة من الوسائل
له تأثير قوي وهذا أيضاً يبيّن لنا ما تجاهله المسلمون من أسس التربية التي يربون
عندها الأسر والنساء في إقامة هذه المملكة العظيمة التي لأصحاب البشرى في
الحياة الدنيا وفي الآخرة مملكة صلاح القلب والأعضاء

فشأن اللسان شأن عظيم، واستمع الأدب إلى الكلمة السديته له أثر في القلب
رسم غشّر رواله. لأجل ذلك كله حرص من حرص من أئمة الإسلام على الاعتناء
شأن المحافظة على النشئة والأطفال من استماع الكلمات السيئة ومنهم الذين
راعوا أولادهم ألا يذهبوا إلى مواطن عامة يسمعون فيها تلك الكلمة والأخرى

إنما نعرض هذا لينبعث من الضمير إدراك واجبات ومهمات تتعلق بالمبدأ، بل
تتعلق بالاعتناء بالاعتناء لشأن هذه الدات الإنسانية، فقد سرت العقلة إلى كثير
من العقول والقلوب عنها مع صراحة التوجيهات الإلهية والنوبة في هذا المحال
العظيم، لتدرك الفارق الكبير بين ذلك الاعتناء وهذا الانحطاط الذي حصل في
الامة فصارت تُسمع الألفاظ البديئة من صغار السن^{١١}

كل ذلك من تحكّم العفة التي حثت بقوت كثير من أهل هذه امة، فبه
بالوا بإرسال الكلمات، ولم يبالوا بأن يستمع أسوأهم أو سئهم من الكلام ما
يشحن القلوب ظلمة أو يملأها قسوة أو يحول بينهم وبين حسن الاستماع لأقوال
الحق سبحانه وتعالى.

استشعار المحاسبة على الأقوال

لا على أهل الملة أن يحضر عند نال كل واحد منهم أن هذا اللسان وما يصدر منه
سيكون محلّ خطب للإله الحق تبارك وتعالى إذا كلمه الله يوم القيمة فإن الذي
أكثر إساءة الكلام لا يصلح لأن يكتمه الملك العلام حلّ حلاله، كما قال تعالى عن

قوله * ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ أَنْقَضَتِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ١٧٧. ومن استشعر أنه سيخاطب الحق تبارك وتعالى ليس بينه وبينه برحمة بخير لأعداء الناس لكي تحس حجب الله به من حجب الله عن حسن الخطأ فتمت الدنيا به استعمل فيه نفساً على برصه هذا الأمر، حتى به لسانه عما يوجب العصب أو يوجب السخط.

فمن فهمى سائر الخطأ مع حق حلاله ثم فهمى بسببها مع سبب الله تعالى والصدق من سببه، وصدق حجب الله به تعرف آخره بعصمة النبي تحسب بسبب فعدت له نهية عصمة الله تعالى وهذه الكبر، ثم قد حدثت له كبر صدق من برصه على يد مصطفى محمد صلى الله عليه وسلم كان يحمل حجة فصيح في هذه حشية لا تكفي له ولا برصه باريه، ولا لا أحد فيه القوة عدمه ولا على ولا عجب من ذلك فثبت هو دركت من يترب على هذه الأمور عجب ر حجب بسبب على هذا الأمور حجب بتهججه إلهام يحصل من ذلك عصبه من وعصمة حجاب ذي الحلال سبحانه ويعني

وأنه من في محاسن أخرى عدم بوجه الخطأ في جهات يعملون بها مستمع لأشياء، وبه سيرت على الخطأ وحضرتي هذا لفظ أمور كبره من مقاصد أو محاسن أو مواجذب و نصيبت، سيصتوبه أنه مع تلك الحركة أو ذلك منك أو شيء من الاعتدات السيئيه مثلاً، نجد لأهم

نور كنهه و لاسه سبه، حتى سجب انكه ن بعد كنهه خلا، و حب
 ن بقدره قوه بعد ن كسبه و شخصه و ساع ش فحقن ن كنهه هه من
 حل ن حده مضافه شيء من حبه هه لاصه و من ن ن حده من
 رب الاصل و سبه ن ه حبه علم ن مسك لاث هه ن سبه و سبه
 مضافه من ندين سبه ن سبه من ناصبه حشه ن ن سبه من
 بهم اقدامهم.

ومن كثير كلامه بعد و سبه ن سبه، ومن ن سبه ن ن
 كثرت دونه كتب ن ن ن لاجل ذلك كنهه و حب ن كنهه
 نني هي نصدقه ن ن ن ن شدة هه ن سبه

الاهتمام بالقول الحسن و ثماره

حب ان يعزذ لاعتداله سبه ن ن حان الحق و حسن ن ن
 الله ن ن و ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن
 ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن
 ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن
 الشبه و عيذ ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن

و كي انه مكك كتساب نصاب و الدرجات ن ن ن ن ن ن ن ن
 و اصلاحه ن

وقصصهم الي فيها العز لأوي الألباب إن الذين يدعون معبجات الحياة
 حتى عباً أو اقتصادياً أو فكراً يفتشون عيب قصص كثيرة ويعرضون بصور
 متعددة . وقد احذر رب الأرض والسماء أن يقص هذا القصص لدي شئ في
 القرآن عن الأنبياء وعن الأولياء وعن معاديبهم وما حل بهم فما مرة هذ
 القصص الإلهي وما وقع في حيات وفي ما يُشر في دبر وفي يدور في سيا
 صغراً وكبراً، سرّاً ومجمعاتاً فيجب الاعتناء بشئ ما قص الله تارك وتعالى
 كما أنه بواسطة اللسان يتحقق كثرة ذكر الرحمن الذي من أكثر من ذكره كان
 مذكوراً بديه، ومغرضاً لأن تُحطَّ عنه حقيقته، وأن يرافق ركب الأنبياء الأحياء ،
 قال تعالى : **وَالدُّكْرَيْنِ** **اللَّهُ كَبِيرٌ** **وَالدُّكْرَيْنِ** **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً**
عظيماً . . . ثم أنوع الإرشادات في محالات الحياة بما يرفع وبما يخدم الأصل
 والأساس من الاستقامة على صريح الحق تارك وتعالى كل ذلك يمحى القيام به
 بواسطة هذا اللسان، فما أخرى الإنسان أن يعرف قيمة الإنسان وأن يتهياً لتمييز
 اللهم نشأ على الحق فيه بقول ونشأ على الحق فيما نفعل ونشأ على الحق فيه
 نعتقد وبارك اللهم لنا فيما نقول وفيما نحرر من القول فيه حتى يستقيم على
 مرصاتك وحتى نلهم القول به (لا إله إلا الله) عند الوفاة يا حي يا قيوم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس :**مجال السمع ونتائجه**

الحمد لله الولي الدن، شَهِدَ أَنَّهُ إِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
 حَامِعِ الْخَلْقِ يَوْمَ وَصْعِ الْمِرَالِ، وَشَهِدَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، فُتِّحَ
 عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَاسْتَعَى عَلَى اللَّهِ بَارِكُ وَيَعَالَى مَا بِهِ سَعَادَةُ الْإِنْسَانِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ
 وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَنَّهُ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ سَارَ فِي سُنَّتِهِ بِحَسَبِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَمْلَكَةٍ لِإِسْمَانِيَّةٍ بِمَكَّةٍ هُنَالِكَ هِيَ فِي صَدْرِهِ
 التَّوْحِيهَاتُ لِإِلَهِيَّةٍ، وَتَقْوِيمُ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَنِ نَفْسِكَ لَدُنْكَ
 تَنْتَظِمُ بِهِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا فِي مَنَاجِيهِ لِإِلَهٍ بِهَا يُوحَى سَعَادَتُهُ فِي حَيَاتِهِ وَعَدُّ نُفُوسِهِ
 وَبَعْدَ الْوَفَاةِ، كُلُّ مَنَاجِيهِ فِي ذَلِكَ الْمَنَاجِيهِ، مُسْتَضِيءٌ بِأَنْوَارِ ذَلِكَ الْمَنَاجِيهِ بِحَسَبِ
 رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

أهمية السمع للإنسان

من أجزء هذه المملكة الكبيرة الواسعة (أجزاء السمع) التي جعلها الله آية من
 الآيات، وجعله سبحانه وتعالى علامة دالة على بديع قدره وعظمته سبحانه، ورث
 سبحانه وتعالى هذا السمع بحلاياه الألوف والأملايين وصور المعنى إلى الدهن
 والمال، وترجمة ذلك، وإصدار التوحيدات للأعضاء حسب ما يقصده ذلك
 القلب أو ذلك العقل الذي انتهى إليه ذلك الصوت الذي سمعه

وكم به عظم خطر السب فعظم خطر لا سب كذبت، لأن لا سب هو
 أنت الذي نسب في القلب خير أو شر، لأجل ذلك نرى شره موجه من
 قبل، أحلوا لسمع الحق لمهدي، يقول سرك ومعانيه فستر عبادي كذبت
 يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ فالسمع في مملكة الإنسان إذا وُهيته
 الإنسان صفة ممكن أن تحقق بها ما يوافق في مرفى حيدر سرب

فب من أكد سب سمع وهو لا يحدث سبرمه ولا أن يقصه وهو موهبه الله
 به، ويسر به لا سب في السب في وقت الحاجة تدع عن حسب ما يقضي له
 حق ويسر به من الأسباب، انق له في سمع وصر إلى ما تستمع، وما
 تسمع حسبك، صدقك، ساءك، ساءك، سركك، ما تستمعهم، فإن لسمع
 البصير جل جلاله يرقب ما تستمع إليه وما تسوعه لعباده.

و بهذه الأصوات والكميات تأثيرات قوية على الأعضاء، على الأفكار،
 على الصور، على الأشياء، على حركات الجسم، فحينئذ يجب أن تصور سمعت
 كم تصور لسالك عن الكلام البديع، فإنك عند استماع الإثم تكون كقائه، قد
 تعان " وقد برر عليكم في الكتب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويشتري بها
 فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، يكفر إذا مثلهم " وقد
 نعى " فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين " . قال الشاعر:

وسمعت ضر عن كلام القبيح كصور لسان عن لطفه
 فإنك عند استماع القبيح تكون كقائله فسفه

الحرص على استماع الخير وتجنب سواه

كما تقدم علمنا وحب ما نقوم به من أدوار في الدار وغيرها مما ينبغي له أسماعاء، وما يرفقه إلى أسماع من أوليا عليهم، وإلى أسماع من يحاسنا، من كان يترحم أن يسمع من الحق تبارك وتعالى كلام الرضا عند النداء فحق له ألا يسمع إلا إلى ما يرضي ربه سبحانه وتعالى، لأجل ذلك وحب على لمسمع عند استماع الميممة أن يرد على التهام اسفل لكلام السوء، وأن لا يصدقه، وأن يرحمه، وأن لا يحمله قوله على التثع، وأن يحافظ على قلبه من حدوث شيء فيه سسه

ولما وشى بعض الناس إلى عمر من عند العرير بعض الرعي، قال له يا هذا، إن شئت بطرك في أمرك فإن كنت كدأ فأت من أهل هذه الآية * يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وإن كنت صادقاً فأت من أهل هذه الآية * هَمَّازٍ مُشَاءٍ بِنَعِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَيْمٍ * وإن شئت عفونا عنك هذه المرة ولا نعود قل: بل أعف عني ولا نعود يا أمير المؤمنين كذلك لست استقبل الكلام من قبل الأذن سي استمع استقبل المؤمن، استقبل من يحكم شرع الله تبارك وتعالى، من يعمل بمسح حق حل وعلا، من يقف بها أمره الله به وبها وعد وأوعد حل حاله فلما جاء الاستقبال هذه لصورة جاء الرد بهذه الطريقة وهذه الكيفية، وبذلك تنقل أبواب سعيه لناس على بعضهم أو وشايتهم بعضهم البعض.

لكر وحوود الأذان المستمعة بلعوا، وللقصور، ولسميمة؛ يوشع محال هذه المعاصي، أو قل هذه السماع المقرسة، والأسحة الفتاكة بالمجتمع وتذسكه، وبالإبليس وقوته في القلب تنتشر عندما تجد الأذان صاعيةً لمثل ذلك لسوء أو لعيه الناس بعضهم البعض، ولذا وحدث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بصره سمعه عن أن يسمع إلى الله محرمه وهي الممار - ويمشي مع نافع مولاة وعدم سماع الصوت وضع أصبعه على أذنيه حتى لا يسمع، وعدد عن الطريو، وحمل يقول مولاة. "اسمع" فيقول نعم فينقي الأصبع في أذنيه حتى قال لا أسمع فأحرقهم ورجع إلى طريق، ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع، وحذر هذا الاحتار وهذا الرقي لنفسه رجاء استيع إلى ما يشره من قبل مولاة وإلى ما يشره منه ثم أعد الله من العبادات وحمل الأصوات في الحيات للدين صابوا أسمي عنهم عن المحرمات في هذه الحياة القصيرة

وبذلك كله نحدد حظر السمع، وأنه قد يتعرّض الإنسان شيء من اسم عاتة غير المشروعة سوع من اعداد حدث عنه صاحب الرسالة وهو صُ الألت في أذنيه، والألت هو الرصاص المذاب بالنار فيصق في آذان الذين ارتكبوا بعض الجرائم فيبعثون بسمع، ومنهم الذي يستمع إلى حديث قوم وهم له كارهون^١

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وابن أبي الدنيا في الورع

٢، والشيخ أبي كات السمع باب من كذب في حقه وحدث ١٠٣٠، ونصر الحديث من بحم بحم م بره

كلف أو يبعد من شعريين ومن يسمع من حديث قوم وهم به ك هون أو يعرفون منه صُ في أذنه لألت

يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن يسمع فيها وليس نافع

تهذيب الشريعة لسمع الإنسان

الشريعة في عظمتها بظمت ورثيت ووطدت أسس المسالك حتى يتجنب
 الناس المهالك، وحتى تحفظ احترام لكل - فحُرِّمَت النَّصْتُ وَالِاسْتِغْيَارُ
 لحديث قوم لا يجوز أن تستمع حديثهم، فيما عليك من ذلك الحديث^(١) وما
 عليك من التطيع إلى أسرار الناس، أو ما يجوز أن يعيب عليك^(٢) إلى حد أن
 جعلت الشريعة حديث من حديثك حديثاً وأحد ينقض حشيه أن سمعكم أحد
 أمانة عندك، فلا يجوز أن تُسمِعه الغير^(٣).

لكن الناس قل تقواهم لله تعالى في يتعق هدايات فوحيت الرعية لرفعة
 الحق في ما تسمع إليه الأذن وما نصبت إليه من الأحبار أو الفصوص في الأحكام
 أو الكلام عن الأحياء أو عن الأموات، لأجل ذلك نهى عن الاستماع إلى من
 المسلم حياً أو ميتاً وعُدَّ ذلك شراكه للسان، فإن المستمع شريك القائل وأمره
 بذكر المحاسن، «ادكروا محاسن موتاكم وكفُّوا عن مساوئهم»، على وجه
 الخصوص، والأحياء كذلك فإن قائلهم رأيت رسول الله إن كان في حبي ما
 أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد هنت» أي
 وقعت في البهتان والافتراء والكذب وذلك أشد.

(١) في حديث أبي داود عن حماد بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

حدث الإنسان حديثاً والمحدث يلعن حوله فهو أمانة

(٢) رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن عن ابن عمر

(٣) رواه مسلم في كتاب الترويض والألقاب باب تحريم العبة (الحديث: ٢٥٨٩)

فوحب إقامة الميراث لأذن الإنسان حتى يختار ما تسمعه فإنها تات إلى قلبه
وقد أشرنا إلى الآية الكريمة في ربط عصوص بالقلب فربط الثلاثة ربطاً و حداً
فقال تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ .
وذكر شأن السمع في مدین عرفوا الحق وامتوا به فقال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا
أُتِيَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ .
وقال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُ وَلَكُمْ أَعْمَلُ كُفَرُوا
سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَا تَنْتَعَى الْفُجُورَ﴾ . وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْمُرْسَلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ .

وفي مقابل تحد أهل الشرور والروور كيف يبعدون عن الاستماع إلى خيور
ويحجون الاستماع إلى الشرور، قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا
الْقُرْآنِ وَالْعَوْفُ فِيهِ﴾ . كذلك تكون المقابلة للصبيحة من المستمع لها على
حسب ما وقّر في قلبه.

سهم املا قلوب انوار الحشية منك، والإبادة إليث، والاستعداد للقاءك،
وحسن الأدب معك، وبها يوح لنا سعادة اندارين برحمتك يا أرحم الراحمين

وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السادس:

وظيفة السمع تجاه النصيحة

الحمد لله السميع الصبر يعلم القدير، لا إله إلا هو منه تبدأ به نصيحه،
أرسل إلينا عبده المحيى محمد، نبيه الدبر والشرح المنير، صلى الله عليه وسلم
وبارك عليه وعلى له وأصحابه ومن سار في سبيله إلى يوم النصر.

أما بعد فإن الذي جعل لنا السمع والأنف والأفئدة، حرى أن يستعمل
واجب الشكر يعتب على منه شكر فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَنْفَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^١ منبر إلى استعمال هذه المواهب
والعطايا ونعم الكيرة عبد أكثر الناس في عمر ما حلفت به، في عهد ما سمعهم
طاهراً وبصاً، ديب واحرة، واستعملهم في معصية من وهبهم بها ومن
أعطاهم بها ومن مكثهم فيها، وهو الله تبارك وتعالى

واجب الشكر للنعم

إن صاحب مملكة ممدودة بطاقات من خواص والأجهزة العظمة، وكل ما
أنهر الناس بعد ذلك من أنواع المصوغات والأجهزة إلى كل في هذه النعمة سبعة
لنلك الأجهزة الأصوية وتنت عضيد الوهية الإلهية للإنسان ﴿وَلَكِنُّ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٢ ولكن أكثر الناس لا يشكرون^٣
فوجب على كل من اتصل بالإنسان بالمواهب هذه المواهب أن يفهم على قدم شكر
هذا المعطي والمانح حل حاله، وأن يسخر تلك الطاقات في مرصده الذي خلق،

وفيها عظمه وشرفه وكرمه واستقامة حال الناس في العبادته وتهنئة سعادته إلى عيونه المؤبد والمبدئ لعظمه المحلّد^(١) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فبحسن استعمال السمع والبصر يترتب عليه أمر كبير في استقامة البصر وتفكير واستقامة الأحاد والعطاء واستقامة الوجه في حق سبحانه وتعالى. واستقامة التعامل بين أصناف الناس بموارين الحق التي بعث بها الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا كل من مظاهر الصحة في استعمال السمع به عدم تفرغ السمع نصيحة من أحد أو تنبيه على غي عند الإنسان أو رنة أو هفوة أو تقصير أن يتقل هذا لا سمح بفرح يوحده فيه معرفته بحق سمع عبيد، ومعرفته بعصمة نصير بن سمع حل حلاله، وفي هذا المعنى يقول أحد الذين تروا على يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله من أهدى إلى عيوي^(٢).

فكنوا بحور ن يصحوا سمعهم لنصيحة، وسموحوهم إخوانهم ومن هو دونه ليلا حظهم في مسرهم، إذ خلصت بواضعهم وصفت طوباهم وأدركوا المهمة في حبهم وزدوا الاستعداد للمصير وللوقوف بر يدي تعالى الكبير، وبتحكم الذي يحكم به الحق حل حلاله بين الناس فيها كنوا فيه بختفون، فمن أسعده سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن أشقاه شقي شقاء لا يسعد بعدها أبداً.

الحرم على الاستفادة من النصيحة

قول سيدنا عمر رضي الله عنه من أهدى إلى عيوي، ثمثل بوجهه الصحيحه في استعمال السمع في محله واستقبل النصيحة بالفرحة واستقبل النصيحة بالرضا واستقبل النصيحة باعتبارها منة للناسخ ومهي كان قصدهً ناصح إياك فيمكنك الاستفادة منها، كيف والعقل استعملوا أسرارهم في الاستفادة من كلام من يعاديه أو يحسداهم، فربهم بأحدون منه ما عسى أن ينفعهم في تقوية معوج لديهم أو استكمال ناقص عندهم، وما عليهم أن يحمل قلب أحد عندهم شيئاً من الحسد أو الحقد أو التكره وغيره، ولكن العقل نصه بقول تعالى «لِلْإِنْسَانِ عَنِ نَفْسِهِ نَصِيرَةٌ ﴿١﴾ وَلَوْ لَقِيَ مُعَادِيرُهُ» فيستفيد من المواقف ويوظف سمعه في الموطن الذي يستحق أن يوظف فيه في يعود عنه بالسمع دماً واحداً فمن أجل ذلك ما يتعمق شأن النصيحة التي دُعينا إليها، وأُجعلت أديب في قول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم «الدين النصيحة قلنا لمن؟» قال الله وكتباه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وإن كان المعنى في الحديث للنصيحة عاماً وشاملاً ومسحاً أطول مما تتكلم عنه فيما يتعلق بالسمع، ولكن أيضاً كل ما يتعلق بالنصيحة مما ينبغي أن يوصف الله تبارك وتعالى وعظمته؛ وأوصاف رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته وذكر أخلاقه وشيئله وهديه الشريف عليه الصلاة والسلام، وكذلك ما يتعلق

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة (الحديث ٥٥)

بالقرآن إما تلاوة الآيات أو الحديث عن القرآن أو عن أحكامه أو عن فضائله أو
فصائل سور منه أو آيات مخصوصة، أو الحديث كذلك عن أئمة المسلمين سواء
أئمة لعلم أو أئمة الحكم فيهم، والحديث عنهم به يُثبت في القلب تعظيم أهل
الفصل والصلاح والعلم والتقوى، وما يُثبت أيضاً في القلب وحب حس
التعامل مع أئمة حكم به يُبعد الناس عن القوصي في أحوالهم وشؤونهم، وعن
إقرار ما حرم الله تبارك وتعالى أو إبطال حق من حقوق بطرق القويمة لسليمة،
أو إلى ما يتعلق بشأن المجتمع وعامة الناس مما يُصلح الفرد والأسرة والمجتمع .
ولإصغاء به كل ذلك دحل في الإصغاء إلى النصيحة والاستماع إلى النصيحة.

وكما عيب بالاستماع إلى النصيحة في أول الحديث حرءاً من النصيحة وهو ما
يتعلق بشأن الفرد ما، والملاحظة عليه، والتسبب به، وتبيين شيء من أفعاله أو
أقواله على وجه النصح.. وتختلف النيات في ذلك.

ومع ذلك كله والمصروح بسعي أن يقلل النصيحة ممن كان قولاً حسناً،
ويكون القول الحسن بحسن نظره فيه قبل له، وحسن ملاحظته نفسه في إقامته
الأمر على الوجه المرضي، وأن يستفيد مما نصح به استنباطاً لشأنه ولتصرفه ولشيء
ما يتعلق به، فإن الإنسان كثيراً ما يفعل عن شؤون تتعلق به ولا يراها كما يراها
غيره منه وهذا جاء في الحديث: «المؤمن مرآة المؤمن» . وفي كل ذلك يقوم
السمع هنا بوظيفة حسنة.

أثر التناصح بين أفراد الأمة

وقد كان لصاحبون من الصحابة والتابعين فمن دونهم يستصحون السوى ويطلبون منه الملاحظة عليهم رحاء تقويم المعوج وتكميل النقص وتعديل المائل، وكل ذلك لما يشعرون أنهم في ذلك يقومون بحق عبودية نفسيهم إلى رصوا انهم، وإلى حيازة الخصوصية والمزية والنعيم، فلأجل ذلك فرحوا بصح بعضهم البعض، وطلبوا الصيحة من بعضهم بعض، وطلبوا الوصايا بينهم، وحق سارك وبغاي قد جعل من أسس النجاح من إفساد إقامة هذا التواصي قال تعالى ﴿وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٌ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَهُوَ صَوًّا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ . فهذا التواصي سدي يحتاج إلى الأدب الصاعية والقلوب الواعية يستمر أمر الناس في استكمال الوافص، وفي تعديل المائلات، وفي تقويم المعوجات. كل ذلك يعيدهم حملاً وحسب ومهارة وطموا كل عضو في هذه الممكة في وطيفته الصالحة فمن وطيفه السمع محبة الاسمع إلى الملاحظة عليه رحاء إدراك مرلة سامية من رصوا ارحمن حل حلاله

ولما لقي سيدنا عمر بن الخطاب سيدنا سبن الفارسي رضي الله عنه بعد عينة كانت بينهما قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ قال اعفني يا أمير المؤمنين، فألح عليه، قال بلغني أنك لست حلتين في يوم واحد، وجمعت بين إدامين على مائدة واحدة، قال: وهل بلغك غير هذين؟ قال: لا، قال أما هذان فقد كُفيتهم، أي استمعت نصيحتك وتنهت إلى ما أشرت إليه، فمن بعد اليوم لا أجمع بين

إدامين على مائدة ولا ألس جلس في يوم واحد وهذا الإحاح من سيدنا عمر
على سيدنا سفيان الدرسي بن المسلك الذي أقامهم عليه رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم، وإلا فكيف كنت نسبة عمر قبل أن تسلم وقبل أن
يسمع مصطفى عليه الصلاة والسلام، ونحن كذا بقول الكلام فصلا عن أن يصيب
الصبيحة من أحد! ولكن نلت المارل السامة في تقوية هذه السنن وتركيبها

وإذا فمت الصبيحة بين أهل الملة أورت كثير من خير وأعدت عنهم
نوعاً من الآفات والشرور والسيئات وأعدت وتبرعت والاحتصاصات
والشعاعات، بنى عمر ذلك من الشرور التي تحبط بالمنعمات

فيجب تقوية السمع ونوظيفه في وطيفته الصبيحة، ويصعب لكثرة الأسراع
إلى الكتاب العرير، فلا يحرم الإنسان أدبه من الإصغاء إلى كلام ربه في كل يوم
وتبته. وتحدد له ورداً من هذا الكتاب العرير يتأمله ويتدبره، قل تعالى * وإدا
قُرْءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *

ويسعي لكل مؤمن أن يتسه، ونى الخو يسوچه، ونى يوصب أعصاه في
بصائف التي حنقت ه ومن أحبها، لبال بدلت السعادة في اندارين

أشدد الله إلى ما برصيه وثنتنا على ما يحب فيه بقوله وسمعه وبرويه به
أكرم الأكرمين وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع.**حراسة البصر وأثره في البصيرة**

الحمد لله واسع الألطاف، علم الطاهر والخاف، لا إله إلا هو الواحد الأحد،
أرسل إلينا حسبه المصطفى محمداً صلياً وسلم على الهدى والرشد، اللهم صل وسلم على
عبدك المحسى الهادي إليك سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار،
ومن على منهمجهم سار.

أما بعد: فإن الحق تبارك وتعالى قد جعل لنا أنصراً في بصر، تصل
بالبصائر إذا استعملت على الوجه المطلوب، فتحدث في بطن الإنسان إدراكاً
لمعانٍ ولحقائق ولعواقب ولنتائج ولثمرات الأقوال والأفعال والحركات
والسكبات، إذا أحسن النظر هذا البصر في ما بث الله تعالى من واسع العبر،
وحمل البصر ومملكة البصر على يورث الكدر، ويُقصي إلى الدامة في المستقر كل
ذلك يبين لنا خطر النظر.

أثر حسن استعمال البصر على البصيرة

نستمع في آيات الحق تبارك وتعالى في عددٍ من السور إلى أمرٍ بالنظر والرؤية
مقترناً بمعنى التفكير وبمعنى التدبر والتأمل، فينبغ عن ذلك أن استعمال البصر
إذا تمَّ على وجه صحيح كان مرتبطاً ببصيرة الإنسان، البصيرة التي إذا فقدت
من الإنسان فقدت خصوصيته، وصار هو الأعمى على الحقيقة، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾
 قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
 وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١١﴾ وقال تعالى ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هِدَاهِ أَعْمَى فَهُوَ
 فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقال تعالى ﴿كُلَّمَا تَسَمَّعُ الصُّمُّ أَوْ
 يَهْدَى الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وقال تعالى ﴿فَبِهَا لَا
 تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي لا حصر لقد
 مجرد البصر إذا كان القلب مصيئاً منوراً.

كل ذلك يدلنا على حقيقة في العمى والبصر، وأن المراد من البصر اتصاف
 بالبصيرة وهي الأساس، قال تعالى ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
 كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾ وكل من لم يوطن العلم في
 قلبه أن ما أنزل إلى محمد من ربه هو الحق فهو أعمى . فذلك تعلم انتشار
 العمى الحظير في هذه الأمة، وأن أكثر الناس عمي عن سبيل الهدى لم تنفعهم
 أنصارتهم، ولم ينفعهم بصرهم ذلك لأنهم لو استعملوا هذا النظر على الوجه
 المطلوب أحسن هدايتهم إلى استنارة البصيرة، وعرفوا به الحقيقة في هذا الوجود،
 من أن له الموجد العظيم البديع الخالق المكوّن العاظم حل حلاله، وأن المصير
 إليه، وأن ما قبله هو الحق، وأنه الذي أرسل رسوله سيفذوا الناس ويخرجوهم من
 الظلمات إلى النور ليهدوا بهدي الله ويستنصروا ما هج الله تبارك وتعالى

أثر النظر إلى الحرام على قلب المؤمن

يا صاحب الصبر ألا تدري أنه يحدث قلبك كل نظرة حرجت عن مسجع ربك، كل نظرة نظرت بها بالسوء إلى مسلم، لا احتقار لمسلم، بإرادة الأذى للمسلم، كل نظرة تنعت بها عورة مسلم، أو نظرت بها إلى سب مسجون متطوعاً بغير إذنه أو إلى إنائه أو إلى حقيقته أو إلى شيء يخصه.. ألا تدري أنك بذلك تقع في سوء يحزنك عن حقائق السعادة من حيث يدري ومن حيث لا تدري، ومن تنع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يمضحه ولو في خوف بيته .

ألا تدري أنك إذا امتدت عينك إلى النساء الأحسان، أو امتدت عين امرأة إلى الأجانب تأملاً لمحاسن سطر الشهوة، أن كل ذلك يسب كدراً في الصبر، يسب طمعة في القلب، يسب عمى في البصيرة، يسب حسرة في القيامة، يسب إذهاباً للبهاء، يسب تعرضاً للعذاب، وفي ذلك جاء أمر القرآن ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَادَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ وقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَصْوَاحِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُتَّبِعْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ خُيُُُوهِنَّ ﴾ . . .

فَوَحه الخطاب لسببه يحاطب المؤمنين، لأن غير المؤمنين لا يدرك لم يلزمه أن يعرض طرفه؟ لم يلزمه أن يمسع عينه من الامتداد إلى ما شتبهى النفس أن تمتد إليه

من المناظر ومن العودات ومن بيوت الناس وغيرها. سكن المؤمن بقلبه، وحين
الآية باخشيته في الإبراهيم التي بها يفتح المؤمن له بعض البصر * قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يُغْفِرُونَ * مِنْ أَنْصَرُهُمْ وَيَحْفَظُونَ قُرُوحَهُمْ * ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
يُضَعُّونَ * به مرحع بن حمر يضعه فيحسه عبيه، فذلك بح أن بعض
البصر عما به هذا الإله أن يطر إليه، فعده عن النظر بعين الشهوة إلى أي
شيء، وبه عن النظر بعين الاحتقار إلى أي مسلم، قل صلى الله عليه وسلم
«بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(١).

بل عندما في أدب شريعة أن يعرف الحكمة من حلو الكائنات وإب كس
سنان أو حيوانات أو جمادات، وأمر أن شهد الحكمة في حلقها، وبذلك
تخلص من أن يحتقرها فإن هذا الاحقر يؤدي إلى صرر عيب وإلى نقص في
وفي بواطننا وإلى خدش لبصائرنا.

تقويم النظر عند المؤمن

لأن من رعية قضية تقويم نظر المؤمن على الاعتبار والادكار في الكون،
والاستعانة به على قضاء الخواص والمدفع الدينية والديوية الظاهرة والباطنة،
وحملته وحرسه من أن يمتد إلى العورات أو أن يمتد إلى الأحاس، كل ذلك
لتستقيم البصيرة ويستقر البال، فإنه كما قال الشاعر:

(١) رواه مسلم في كتابه في فضله والآداب كتاب محرم عند مسلم وحكماء ورواه غيره وهذا حديث (٢٥٤٦)

كل الحوادث مدأها من البصر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يفلت في العباب وموقوف على الخطر
وكلما امتدت العين إلى ما يتعلق بالشهوات كثر التعب، كلما نارت النار
في القلب، كلما كدرت على الإنسان عيشه، وقادته إلى لعب أو إلى حرج إلى
معصية الحبار، فيعرض بذلك لما هو أشد عليه لأجل ذلك كان من الحرم أن
تستحكم إرادة الإنسان في بصره لدى آتة الله به ليسير به بصيرة في عظمته
تذكر وتعالى ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا نَعَى الْآيَاتِ وَلَئِنْ
عَنِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * .. * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا * ..

ومن أخطر الكبر أن يرسل الأنصار لما تُدكي الشهوات، بل ذلك مما يعجل
لنا التعب ويعرضنا لعدب المقلب، لذلك كان من الخير للإنسان أن يكف
بصره عما حرم الله تبارك وتعالى والعجب أنه بكف البصر عما حرم الله يعجل
لمثونة يجد أثرها في الدنيا قبل الآخرة، ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
قال: «التظرة سهم مسموم من سهام إبليس يقول الله من تركها من مخافتي
أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»، فدينه حلاوة الإيمان محلاً للمثونة وهو في
هذه الدنيا بمقدار ما بعض بصره عما حرم عليه تذكر وتعالى

فيا صاحب هذه المملكة الصرية لو رافقت الحق برك وتعالى السميع
 البصير في استمع هذا انصر هياته لنصر وحوه السيي والصديقيين والشهيد
 والصالحين في القيامة وفي دار الكرامة، ولو نظحت النصر بالنصر إلى معورات
 والمحرمات، وبالنصر بعد الشهوة إلى الأحسبات، وبطرب الباء بعين الشهوة إلى
 الرحان لأحسب عرّضت أن تحرم كل هذا النظر في الآخرة، وأن لا ينظر إلا إلى
 وحوه الكفرة والفجرة بني عبيد عرة، والنصر إلى العذاب في النار والعذاب لله
 فهني هذا سطر لرؤية وجه النسي محمد وهو حامل لمواء الحمد في القيامة
 وكيف تهني هذا النظر إلا بكفه عن تلك المحارم، إلا أن يكون دافراً في
 سر من إليه ينظر، ويمتد إليه بطرك، وصاحب هذا القرار يعرف المحكم في
 نصر إليه، سواء في الأوراق ومجلات أو في الشاشات أو في الانترنت أو في
 التلفاز أو غير ذلك، وصاحب القرار النسي في هذا حاد بتهياً لتعليم المقيم
 وللحفظ العظيم في الدنيا والآخرة.

الهم جعل أنصاره ونسب عد مصروفة أن يوحى له الكرامة والعرة في
 لدب والآخرة، وأحرم من أن تقود إلى ادامة وحرة وإلى الوقوع في
 العذاب الأليم، يا حي يا قيوم اجعل من أهل القرار على ما يصدر منهم من
 أسبغ وأنصار، حتى يشكر في الدب ودار القرار برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن:**النظر بعين الرحمة والمودة وأثاره**

الحمد لله السميع البصير اللطيف الخير العليم القدير، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، أرسى أسس عمده الشير البدير محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم داعياً وهادياً وسراجاً مبيناً، اللهم أديم صلواتك على عبدك المصطفى المحسى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار في أثره

أما بعد فإنه أمام نعمة البصر الموهوبة من الله بآرك وتعالى لهذا الإنسان يمكن حيازة الدرجات وارتقاء المراتب وتحصيل الثواب بواسطة حسن استعمال هذا البصر وصرفه فيما يرصى الحق الأكرم حل حاله وتعالى في علاه

يا مُعِماً عليه ببصر . تفعل له الخلايا بالوفى وملايينها الصور إلى دهمه فيستفيد من ذلك مدارك كثيرة - . اتق الذي خلق لك هذا البصر وآتاك إياه، وراقب كيف يكون تصرفك فيه وكيف تصرفك إياه، هل هو على مقتضى ما شرع لك وبش لك وجعل لك في مهجه، أم أنك متطاوؤ على سدى آتاك وأعطاك وأنعم عليك بهذه النعمة لتصرفها فيما حرم عليك وفيها حذر منه وفيما حذر منه

ارتباط البصر ببعض العبادات

للبصر مجالات واسعة تتعلق بأنواع العبادات، فيحتاج المصلي إلى كف بصره عن النظر إلى هنا وهناك فيكون ذلك أدعى لحضور قلبه مع الله وتحقيق حقيقة

«الصلاة» قد أفلح المؤمنون ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، ولذلك جاء الحث على النظر إلى موضع السجود بحيث لا يلتفت إلى شيء عن يمين ولا عن يسار، بل قالوا: من فرق بين من على يمينه ومن على يساره فليس بحاشع، وقد صلى الله عليه وآله وسلم «ليتهين أقوام عن رفع أنصارهم في الصلاة أو لتحطفر أنصارهم»، وقال عليه الصلاة والسلام عن الاعتدال في الصلاة «إنه احتلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»، يقصص صلاة العبد.

كذلك في الصوم نحدد أن الذي يصوم ثم يطلق نظره ليطر إلى ما حرم الله عليه نظره، ليطر بعين الشهوة، وليطر إلى عورات الناس، أو إلى ما لا يحل له النظر إليه، يكون قد فقد حقيقة الصوم، وروح الصوم، وعاية الصوم وفي الأثر: «حسب يفطرن الصائم الكذب، والعيب، والنميمة، واليمين الكاذبة والنظر شهوة»، فتذهب آخره وتُسد عنه حقيقة الصوم وروحه وأثره العظيم، الذي له ثواب ليس كغيره من الطاعات والعبادات، قال صلى الله عليه وسلم «كل حسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»، وذلك من جملة المشتبهات التي تتعلق بالبصر.

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة - باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة (الحديث ٤٢٨، ٤٢٩)

(٢) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة - باب الاعتدال في الصلاة (الحديث ٧١٨)

(٣) رواه الديلمي عن أنس، وأخرجه الأزدي في الضعفاء

(٤) رواه أحمد عن أبي هريرة، والبيهقي في شعب الإبراهيم

وقد أسلفنا أن الحق تبارك وتعالى يعجل المثوبة لمن عَصَ البصر عما حرم عليه، فيأدته سوهب حلاوة للإيمان بالله تعالى يدوقها، أدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه،، تلك حلاوة أشهى عند ذوي العقول وأولى الألباب من كل نظرة حرام ومن كل شهوة، فهي حلاوة الدُّ وأطيب من كل نكت التي هي في صورها لذائذ، وفي معبئاتها شدائد وعواقب سوء

لأجل كل ذلك وحب تقويم النظر ليكون مُقِداً لأمر الحق الأكبر تبارك وتعالى، وبذلك يحس الحرام في صلاه أو في صيام، ويستقر الصيام على الوجه المطلوب للحق تبارك وتعالى، ويجوز الإنسان وافر الثواب في هذا الصوم، وكذلك في حجّه ومختلف عباداته.

وهذا يسر الله على الإنسان إغماص عييه، وحسن له أحسن يطعمها بكل سهولة ويسر، يسد بها نظره وتطلعه إلى ما لا محل فإلدى وهت هذا البصر ويسر لك سده ألا ينبغي أن تسد نظرك عما حرم عليك بما يسر لك ذلك وسهله عليك؟ فذلك من واحداً المهمة يا هذا الإنسان، وبهذا العبد للملك لرحمن جل جلاله.

وكل ذلك بحمدنا على أن تكون له وقفت صحيحة في التحكّم في هذه الأنظار وفي هذه الأنصار لوظائفها فيه يعود عينا بالنع ديا وآخره ومن كان يشاق رؤية الجنان وما فيها من نعيم الرحمن، ورؤية الحور العين هالك، ورؤية أنواع النعيم والعطاء فيحق له أن يكف هذا البصر عما حرم المولى حل حلاله، وأن يطلقه فيما يعود بالخير على المسلمين.

النظر بعين الرحمة والشفقة والإكرام

ولسأت إلى وجه من أوجه النظر، وهو وجه إطلاق النظر بالرحمة والشفقة للمسلمين والإكرام والتعظيم للمؤمنين، هذه النظرة تؤثر كثيراً في القلوب، تؤثر كثيراً في علاقات الدس مع بعضهم البعض، إذا خُعت الاسامة في وجه المؤمن صدقة لأهل بيت المودة، وتصمي على القلب شعوراً حسناً، جعل النظر إلى وجه المؤمن بالرحمة، بالشفقة، بالإكرام، بالاحترام، بالتعظيم حسناً عظيمات واسعة المثوبات لها تأثيرات عاحنة في العلاقات بين الدس، في نشر الألفة بين أفراد الأسرة والمجتمع، ينشر بينهم خير إذا استقام هذا النظر. وإذا كان بحسب مري من الشر أن يحقر أحاه المسلم، فمحسه من خير أن يعظم أحاه المسلم، وأن ينظر إلى أحياه المسلم بصره رحمة، بطرة شفقة، بطرة حسن، بطرة عطف.

النوع من هذه النظرات معتقد في كثير من شؤون الدس في حياتهم، وبذلك فاتهم حير كثير في نواحي متعددة منها ما يتعلق بالأسرة، أحوه وروجية وأبوة وسوة، كل هذا إذا افتقد النظر بعين اللطف والشفقة والحنن احتلت موازين الأسرة، واحتل استمرارها واختلت الروابط فيما بينها وترعزعت، لأجل ذلك كان من الضروري تقويم هذا النظر، والإطلاق بالنظرة بالرحمة والشفقة والمودة والمحبة بين المسلمين عامة، وبين الأقارب والحيان والأصدقاء والأصحاب والدين يجمعهم مسجد وتجمعهم مدرسة أو يجمعهم مكتب خاصة، وكل ذلك مفيد في الحياة الأسرية، في الحياة الاجتماعية، عند أثره حتى على حركاتهم التجارية وتعاملاتهم الدنيوية.

أثار هذه النظرة في المجتمعات

إذا سادت هذه النظرة أثرت تأثيراً كبيراً في القلوب وأحدثت اسعاً للصبيحة للآخر في الإخلاص مع الآخر لرفع الآخر لإدخال السرور على قلب الآخر، فيسعى أن لا يفعل عن هذه النظرة ويقويمها وأن نسه من عباده الله تعالى بالنظر بعين الرحمة إلى المسلمين، وإلى من حولنا من نخاف من نخاف ونحسب وعي أنه نخذ الأثر للنظر وأصحاء بمجرد أول ما يقع نظر الإنسان عنده، حتى أن من تمبص منهم الرحمة من بأشرك لأول نظرة ينظر بها إليك، ونأخذ في الاشتداد إليه من أول نظره يقع بها بصرك عليه، على أنه كم من معانات نخافها الناس باستدامة النظر بعين الرحمة والشفقة، وتقويم ذلك وتقويمه فربما لم يظهر الأثر لأول وهنة، ولكن مع الاستمرار والدوام في النظر بهذا الوجه نأخذ الأثر وتظهر على عمر الوقت.

لأجل ذلك يسعى أن لا يفعل هذا الخاب حيث انظر بالنظر والرحمة والشفقة، حتى على من نأخذ ذلك سبباً لعلاج خطئه ولتحويله من الخطأ إلى مسلك الصواب، فهذا أبصاراً يعالج به، حتى إذا احتيج إلى عتاب أو احتيج إلى إقامة حد عليه يسغي أن لا تحتل النظرة وأن لا يكون عون الشيطان على أخيه كما قال صلى الله عليه وسلم للذي سب الذي ضرب حداً في شرب المسكر، فلما سبه قال صلى الله عليه وسلم لذلك السب: «لا تكن عون الشيطان على أخيك» أي بنا نقيم الحدود للإفاد، للإصلاح، للإسعاد، ولترقية المستوى، لا

لاحتقار الناس ولا لإنزاهم إلى الخسيس بالتشقي فيهم. ولكم نضطر إلى إقامة
أحد عليهم لرفع مستواهم ولبعث صيائهم بالحير، وللحيلولة بينهم وبين ما
يضرهم، ولتقويمهم وإصلاحهم. كذلك النظرة في هذا الدين الواسع العظيم

وهذه النظرة يضيف الصائم إلى عاداته عادات، وكذلك صاحب الأعمال
الصالحه الأخرى، إذا كان في أثنائها يحمل هذه النظرة إلى من حواليه يضيف إلى
عاداته عادات، وهذه عادات مع أن لها اتصال بالنظر فإن معنيتها القلب، فهي
عبادات قلبية عظيمة الثواب عند الله تبارك وتعالى لا يتصور كثير من الناس أن هي
مشوبة عند الله، وأن لها أجراً كبيراً، فهي عادات عظيمة، عبادة النظر بعين الأذن،
بعين الشفقة إلى المسلمين عامة، وخصوصاً إكرام الوالدين والنظرة إليهم بالإكرام
والاحترام، النظرة إلى الجد أو الحدة، النظرة إلى الابن الصغير بعين الرحمة
والشفقة، النظرة إلى الأخ، النظرة إلى الأخت، إلى غير ذلك، فهو من جملة
الأسباب التي تقوم للصلاة بين أفراد المجتمعات المسلمة، وتكون أيضاً سبباً
لإنقاذ الكثير وهدايتهم وإرشادهم

جعل الله من يحس النظر فيما يرصيه عن طاهر وأبطناً، ورزق قلوبنا من
الشفقة والرحمة والحنان والعطف والرافة والإكرام للمسلمين ما تقوم به أنظرتنا
وتستمر وتدوم على النظر باللفظ والرحمة والشفقة، فتقطف الثمر والتأنيج هنا
وهناك.. يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع:

نظرة الاعتبار بالكاننات ودرك المهمات

الحمد لله مولى الموالى، مكوّن الكائنات، به مرجع الكل * إِنَّ رَبَّكَ يَقْصِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴿١٢٢﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَمِينِكَ
الْمَأْمُون، سيدنا محمد هاديا إلى الهدى والصواب، وعلى اله ولأصحاب، وعلى من
سار في سبيله وتخلّق بأخلاقه الكريمة، تَذَكَّرَ بِهَا حَادِثَهُ مِنَ الْآدَابِ، وَعَبْدٌ
مَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمُ يَا وَهَّابُ.

أما بعد فإن محل البصر واسع فيه يؤدي إليه وفي بصره، وفي الأوجه التي
يُستعمل بها، وإن من الأوجه المهمة التي يسعى أن يُستعمل فيها البصر أن يُصرف
بالاستبصار والإدراك وذلك بكل ما يقع عليه البصر فإنه على اتساع العمل
واتساع الإدراك عند الإنسان يمكنه أن يستفيد من كل ما يقع عليه بصره، وهم
على ميراث يعرف به أين يعرض البصر فيسارع إلى عضه، وأين يرسله فيستفيد من
إرساله، ويستفيد من غضه، فهو راسخ في كلا الأحوال، وكله وقع بصره على شيء
امتدّ منه النظر إلى حكمته، وإلى ما يحمله من آيات ودلالات وغيره * قُلْ أَنْظَرُوا
مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * .. ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ *﴾ كل
شيء خلقه الله يحمل دلالات، يحمل غير، يحمل آيات، يحمل استبصارات، يحمل

لاحتقار الناس ولا لإبراهيم إلى الحضيض بالشقي فهم ولكنا نضطر إلى إقامة الحد عليهم لرفع مستواهم ونعش صبرهم بالخير، وللحيلولة بينهم وبين ما يصرهم، ولتقويمهم وإصلاحهم كذلك النظرة في هد الدين الواسع العظيم

وهذه النظرة يصنف الصائم إلى عاداته عادات، وكذلك صاحب الأعمال الصالحة الأخرى، إذا كان في أثنائها يحمل هذه النظرة إلى من حواله يصنف بين عاداته عادات، وهذه عادات مع أن لها اتصال بالنظر في معشها القلب، فهي عادات قلبية عظيمة الثواب عند الله تبارك وتعالى لا يتصور كثير من الناس أن هذه مثوبة عند الله، وأن لها أجراً كبيراً، فهي عادات عظيمة، عادة النظر بعين احسان، بعين الشفقة إلى المسلمين عامة، وخصوصاً إكرام الوالدين والنظرة إليهم بالإكرام والاحترام، نظرة إلى الحد أو الحده، النظرة إلى الناس الصغير عن الرحمة والشفقة، النظرة إلى الأخ، النظرة إلى الأخت إلى غير ذلك، فهو من جهة الأسباب التي تقوم اتصالات بين أفراد المجتمعات المسددة، وتكون أيضاً سبباً لإنقاذ الكثير وهدايتهم وإرشادهم.

جعلنا الله ممن يحسن النظر فيما يرصيه عن طاهر وأطناً، وورق قلوبنا من الشفقة والرحمة واحسان والعطف والرافة والإكرام للمسلمين ما تقوم به أنصار وتستمر وتدوم على النظر باللطف والرحمة والشفقة، فقطف الشمر والنائح هب وهناك.. يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع:

نظرة الاعتبار بالكائنات ودرك المهمات

الحمد لله مولى المولى، مكوّن الكائنات، إليه مرجع الكل * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَفُونَ * . اللهم صلّ وسلّم على امك المأمون، سيدنا محمد هادياً إلى الهدى واصوراً، وعلى آله والأصحاب، وعلى من سار في سبيله وتخلّق بأخلاقه الكريمة وتأدّب بما جاءنا به من الآداب، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا كريم يا وهاب.

أما بعد فإن محل البصر واسع فيه يؤدي إليه وفيه يثمره، وفي الأوجه التي يستعمل بها، وإن من الأوجه المهمة التي يسعى أن يستعمل فيها البصر أن يُصرف للاستبصار وللإدراك وذلك بكل ما يقع عليه بصره عليه على اتساع العقل واتساع الإدراك عند الإنسان يمكنه أن يستفيد من كل ما يقع عليه بصره، وهو على ميزان يعرف به أين يعرض البصر فيسارع إلى عضه، وأين يرسله فيستفيد من إرساله، ويستفيد من عضه، فهو راسخ في كلا الأحوال، وكلما وقع بصره على شيء امتدّ منه النظر إلى حكمته، وإلى ما يحمله من آيات ودلالات وعبر * قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * ... * أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَخْبَهُمْ * كل شيء خلقه الله يحمل دلالات، يحمل عبر، يحمل آيات، يحمل استبصارات، يحمل

أذكاراً للمذكر، ولكن العفة إذا شملت الإنسان صار يطر العز مُعرضاً غير متبهِ ولا عبي بها، قال تعالى ﴿وَكَايْنِ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَعْزُوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٠

وبذلك نعلم أيضاً أن معشر أهل هذه الأمة يعني أن لا تعمل لاستعادة من استعمر البصر في مجال الاستنصار والادكر في شؤون الكاسات، والاعتبار بالآيات التي فيها، الدالة على عظمة حالمتها ودرها حلالة، سواء ما يتعلق بشأن الأرض وسكانها وعجائب ذلك، أو الحيوانات العريضة التي فيها برأ أو بحرأ، وقد تُعرض في ذلك أفلاة كثيرة، ولكن من البس من يكون معته للطر مجرد الاستعجاب والاستعراب، عفاً عن ربط ذلك بمسبب الأسباب والمكن والحائق هذه الأشياء من الماء سبحانه وتعالى بقدرته الواسعة

ربط النظر بعظمة الخالق عز وجل

يسمى ربط النظر في شأن هذه الدائع المصنوعة بعظمة الصانع وقدرته وإرادته وتذكر المصير إليه، فتفكر في عجائب الراري والبحار، وعجائب السماوات والاهواء، بل وفي أنفسنا كما قال تعالى ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُتَبٰرِكُونَ﴾ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿فَوَرَبِّ السَّعٰدِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ ١١... والبصر على هذا الوجه يريد الإنسان إيمناً ويقياً بالواحد الحق الخالق المكنون البارئ المصور سبحانه وتعالى.

فيسعى أن لا يهمل الإنسان هذا الأسلوب من النظر وهذا الوجه للإبصار والاستبصار، فيفكر في الترتيب البديع المحكم المنقش * مَا تَرَى فِي حَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْئُوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقُتْ لَكَ الْبَصَرَ حَاسَةً وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ رَئَيْنَا لَكُمَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ * نَحْدُ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ آيَاتٍ، نَحْدُ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ حِكْمٍ، نَحْدُ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ عِلَامَاتٍ، نَحْدُ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ بَدَائِعٍ مِنْ حَسَنِ التَّرْتِيبِ وَحَسَنِ التَّنْظِيرِ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى * رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ حَلَالَهُ وَتَعَالَى فِي عِلَالِهِ.

كم من عجائب في شؤون البحر وخلاياها! كم في شؤون الممل وسوتها ومساكنها وتربياتها.. كل ذلك إذا تمَّ النظر إليه على وجه الاستدلال به أثر فوائد كثيرة، ومضى الإيمان وقوى التوحيد عند هذا لباظر، ومن هنا ينبغي أن يُتَعَوَّدَ هذا الوجه من النظر في حياتنا العادية، وأن يستحكم عبداً عند مشاهدتنا للأفلام التي تعرض شيئاً من بدائع الكوكب أو بدائع الحيوانات في ليل أو في البحر وغيرها من كل ما ينبغي الاستدلال به.

ومن هنا نعرف أن من وظيفة المدرس للحولول حياً أو لشيء من علوم الفصاء وهو من المسلمين في مدارس المسلمين أن يُحَسِّنَ رِبْطَ ذَلِكَ سَعْيَ الْإِنْسَانِ إِلَى عِظَمَةِ الْإِلَهِ، عِظَمَةِ الصَّانِعِ، عِظَمَةِ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَيْفَ أَنْ إِلَهِهِ الْمَصِيرَ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَهُ الْعَبْدُ وَأَنْ يَرْحُوهُ وَأَنْ يَطْمَعُ فِيهِ عِنْدَهُ، فَهَذِهِ مِنْ حِمَّةِ الْوُطَائِفِ

التي ينبغي أن يحملها المدرسون خاصة، والمخاضون في عجن السحاب
والأرض من المؤمنين والمؤمنات، وفي ذلك استعمال للأدب السوي الذي جاء
به صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أسلوبه في حديثه عن هذه الكائنات يبعث
العظمة في القلب للذي كَوَّن، والذي قدر فهدى والذي خلق فسوى حل حلاله،
ووجد في هذا محلاً واسعاً لاستنصار المستصرين، فهو محل من محالات النظر
الذي ينبغي أن يكتسب به درجات، ويكتسب به مراتب سمات تسييره في
دعائه إليه الحق تبارك وتعالى مكوَّن هذا البصر وحلقه حل حلاله وتعالى في علاه
وقال الأعرابي لما ذكر له الدُّبيل على وجود الحق الأثر يدل على السير،
والعرة يدل على العير، فسمي ذات أروح، وأرض ذات فجاج وبحار ذات
أمواج، أفلا تدل على الصانع الخبير.

يخوي النظر على هذا سوحه كثير من الفوائد، ويعيد عوائد طيبة على أهل
الإسلام والإيمان؛ والحق تبارك وتعالى في بعض عجن الصانع حاطب الكفار
بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾
فكان اكتشاف كثير من تلك الشؤون يأتي أحياناً على أيدي الكفار، وذلك لعنة
عند المسلمين عما يلزمهم، ورضاً منهم بأن يُشغَلوا بمطامعهم الذاتية الشخصية،
وأن يستحكم ذلك عندهم حتى لا يدري أحدهم بمصالح المجتمع ومصالح
الأمة من ورثته إلا الأفراد القلائل، وهو أمرٌ يجب أن يترفع عنه

النظر في واقع الأمة وأثره

يجب أن ينشر بيبا إدراك أن من مهمة الفرد بيبا فصلاً عن اجتماعه، اسطر في واقع الأمة ومستقبلها ومصالحها الكبيرة، وأن له دوراً يجب أن يؤديه فيها يعود على الأمة بالفائدة والمصلحة، وإذا رصينا بالسحر في الذهب وراء المصالح الشخصية والمطامع الدسوية أدى ذلك لأن يكون القاصرين في الاستكشاف للبدائع وعجائب المصنوعات، وفي إظهار وإبراز حقائق هذا الوجود، قال تعالى: ﴿سُئِرْهُمْ، يَتَّبِعْنَا فِي الْأَفْئِقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

ولكن مصيبة التربية عندما أن يترسى الواحد على مصالحه الشخصية ومطامعه ومُتبعه الفانية، بتلقى ذلك من حلال أسرته التي يعيش فيها، لا يحد فهم من يُهتص همته وعريمته لأن يكون الدافع للأمة، الماشي للحير، المقوم للمصائل والقيم بين الناس، كل ذلك يكسب الماشي بيبا تفوقاً واحساساً رسم كد في تصوّره غاية في الإدراك، فيقتصر على ما يعود عليه بالدخل المادي الشخصي، ويرى أن ذلك هو الذي يصرف إليه المثقفون والطبّاحون والمنطوِّرون، وكل ذلك من قلب الموازين، ومن عدم استقامة النظر في استعمال البصر في غير محاله وعلى غير وجهه، فأثر ذلك على البصائر ففقدت الحقائق وحاءت هذه البطرات المعتنة الخاطئة من هذه البصائر، فأعادت بذلك عوائد على واقع سرنا وواقع تصرّفنا في

هذه الحية وعلائق بالأماي وبالمرادات وبالمطامع التي ترل على
قبولنا، وعلائق بالمجتمعات التي نعيشها والأزمة التي نعيشها في هذه الحياة

فكم من صاحب عمر ليس بأصويل من حيث العدد، لكنه حل المهمة والمهم
في أنه صاحب مسؤولية وواجب في دفع الأمة، فأحرى لله على يديه مدفع كثيرة
كبيرة لاستقامة ذلك الطر، وأصح لا ينظر بعين الاعتراض ولكن بغير
الاعتراض، ولا يعتر برحرف الدي ومظهر ربتها، بل نعمل الطر في باطنها
والاعتراض به حرى من أحوال أهلها، فكل ذلك بغير الإنسان مقاماً صحيحاً في
أن يدرك مسئولية الكرى في هذه الحياة فكم من صاحب عمر قصير أحرى لله
على يديه حيرات كثيرة سمعت العباد من بعده، وكم من جامع للأموال أو حار
للمدك أو ظاهر باسم من الأسماء في هذه الدي نلاشى، وتلاشى اسمه ومصى
عمره ولم يحقق هدف سامياً ولم يزل مرلاً علياً على الحقيقة، فذهب وذهب ما كان
عنده، وصار مصيره على حسب ما انصدق فيه ونصرف به في ذلك العمر الذي قد
يطول في الصورة وليس بطويل في الحقيقة.

اللهم اررقا حسر الطر فيما يرصيك عب، وقوم بصائرنا وأنصارنا على ما
يرفعنا في المراتب، وعلى ما يوقنا على واجب الخدمة للأمة والصنع للعباد يا ربنا
يا كريم يا جواد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس العاشر:

أثر المصافحة في القلب والمجتمع

الحمد لله المبدئ القادر، جامع الخلائق للزوم الآخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، أرسل عبده المصطفى محمداً بهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار في دبره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى جعل اليدين من جملة أعضاء الإنسان التي يُنسب إليها كسبه وسعيه، ويُنسب الكسب إليها ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [النور: ٣٨] ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [النور: ٣٩] ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ [النور: ٣٩]، كل ذلك لأن لليد دوراً مهماً في إنجاز أي عمل، بل وفي إحداث أي حدث من الإنسان، فهي حاضرة معه بحركتها في تمكينه من قضاء حاجته ووصوله إلى مأربه ومسعاه الذي يسعى إليه، لذلك يُنسب كسب الإنسان وسعيه كله إلى هذه اليد.

ومن هنا كانت اليد عضواً مهماً من أعضاء الإنسان، تحتاج من الذي أمر بالحق تبارك وتعالى أن يقيم حركتها في تناولها للأشياء ومسّها للأشياء وصرها ووريها وكيّلها ورفعها وحطّها وشدّها للأمر وإرخائها له وغير ذلك، بأن يكون على بصيرة في كل ذلك، وأن يكون متصلاً بذلك القلب الذي أمر بأن لكل حركة وسكون مسئولية، ولكل حركة وسكون نتيجة ومصير وحراء فمن أحل ذلك كله وجب الاهتمام بشأن اليد.

أثر المصافحة في القلب

تترتب على اليد أمورٌ كثيرة تتعلق بشؤون معنوية وغيبية تقوم أيضاً في مجتمعات الدس بأثار واسعة واصحة، فمن هنا جاءت الشريعة المطهرة بمد اليد لأجل مصافحة المسلمين، وحُعل ذلك سبباً لأمر يتعلق بالقلب وهو إدهاب العل قال صلى الله عليه وآله وسلم اتصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم، بل كل أمر من أمور الحسد والطهر له علاقة بعالم الباطن والقلب، فهناك أثر بين التصافح بالأيدي وبين تلاقي القلوب وتقاربها، فلأجل هذا جاءت سنة المصافحة، وحاء التنسب فيها على ذلك الأمر القبي المتعدى باستقامة المؤمن على طهر في القلب فيما يحمله نحو الآخرين، وهذا يُقصي به إلى السلامة التي يحو أصحابها من احري يوم اقيامة، ومع دعوه الخليل إبراهيم في قران رب يقول لربه سبحانه وتعالى، ﴿وَلَا تُخْرِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (النجم: ٢٧ - ٢٩).

وقد عرفنا في عطمة الشريعة وسعتها برزب وتنظيم الحركة في اللقاءات وفي الاجتماعات وفي مقبيلات المؤمنين لبعضهم البعض، فحالت المصافحة بأحكامها، فحكمها الدب على الأصل طيباً لذهب العل، وبشراً للآلفة، وإشارة من التماسك الحسي إلى تراش وعسك في صفوف آباء هذا الدين ﴿يَنْ أَلَّهِ تُحِبُّ الدِّينَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُتَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾ (البقرة: ١٧٧) وسعياً

لشر حقيقته الصفاء والمحبة والإحياء، حاءت المصافحة على هذا الوجه، واعتنى بها الصحابة بأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

مصافحة الملائكة للمؤمنين وأثرها

أحبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تُشارك نبي آدم في هذا العمل الذي يسي عليه خيرٌ كبيرٌ مما يتعلق بالقلوب وطهرتها، فتصافحون معهم وينه يروهم، ويحصرّون مع المؤمنين محلس الذكر ومحالّ الصلاة، بل حاء في الحة مصافحة سيدنا جبريل عليه السلام بعض المصلين والصائمين في رمضان على وجه الخصوص، قال صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائماً في شهر رمضان من كسبٍ حلال صُلّت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل ليلة القدر، ومن صافحه جبريل عليه السلام يرقُّ قلبه وتكثر دموعه»، فهي العلامة عند العملية، عملية المصافحة بعملٍ أبصاً بيد تتعلّق بإطعام الطعاء وتفطير الصائمين فقد حاء هذا الحديث في فصل تفطير الصائم، فمن أثر بدله ورعته في هذه المكرمة، وهي تفطير الصائم وإطعامه الطعام بحور المبرة السامية النبي ربه أكرم بها بمصافحة جبريل وهو لا يراه وهو لا يشاهد شخصه، فيكون المصافحة مع مصافحة نبي آدم، فأيديهم في أيديهم، ولكن العلامة صهر وهي التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «ومن صافحه جبريل يرق قلبه وتكثر دموعه»

انظر إلى كسب اليد أولاً بدل المال والطعام لتفطير الصائمين ابتداء وجه الله شريطة أن يكون الكسب طيباً، إذ قال في الحديث: «من كسب حلالاً والأمر كنه

متعلق بكسب الأيدي، فاليد التي كسب المال من الحلال ثم أنفقته في مثل هذا الوحه في تقطر الصائم تنهياً لأن تصافحها يد أمين الوحي سيد حريز، وتحصل النتيجة، وهي أن يرق قلبه ويكثر دموغه، فيخرج من قيد القسوة والعفة والحمود إلى داك الإفساح الإيماني، فهذا بالقلب رقيق، والعين تدمع من حشة الرحمن حل حلاله، قال صلى الله عليه واله وسلم: كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غصت عن محارم الله عز وجل، وعين سهرت في سبيل الله، وعين خرج منها مثل رأس الذباب دمة من خشية الله عز وجل»^(١).

فانظر إلى ترابط الأمور بعضها بعضاً، وما يؤدي كسب اليد ويؤثر على القلب وعلى الخوارج، هذا كسب اليد بالتورع في أحد الحلال خاصة، ثم لدل في المحل الذي يحب الله الدل فيه، ثم إذا بالملائكة تصافح هذا الإنسان، ثم إذا بالآثر في القلب وفي العين أيضاً، وإذا العين تدمع وتقلب برق ويخشع، كل ذلك نتيجة لكسب حسن لهذه اليد، فصار شأن اليد شأناً عظيماً.

المصافحة على وجه المودة والإكرام وأدائها

يترتب على عمل اليد في المصافحة أيضاً مصافحة على وجه المودة والمحبة والإكرام، يسبق اليد فيه القلب فيسبق القلب إلى معنى المودة ومعنى الأخوة واستشعار رابطة الإيثار والمحبة ثم تعبر عن ذلك اليد فذلك هو المقصود، وعلى أن من أهل الصعف في الإيمان من تسبق مصافحة اليد رجاء أن يتسلل إلى القلب حقيقة المصافحة فيذهب العن ثم يلتفون، وهذه درجة ثانية وهي أيضاً من حملة

(١) رواه أبو يعقوب في الحجة عن أبي هريرة بإسناد حسن

الأدوية والعلاج هذه الأمراض الخطيرة أمراض شخ القلب، على القلب، بعض القلب، شحذ القلب، تعالج بواسطة امتداد اليد للمصافحة، ولكن من سي فسق قلبه إلى المصافحة فما تأتي المصافحة إلا تأكيداً ووثق بوصف محمد الحميل الذي يحل في القلوب، وتلك الرابطة التي جعلها الله بين هذين هذه منه السمحاء العقيمة، ولأجل كل ذلك كان للمصافحة المقام الكبير، من صلى الله عليه وسلم ، أما من مسلمين يلتقيان فيمصافحان إلا غفرهما قبل أن يفترقا

على أنه إذا صافح الإنسان د شمس بالإسلام أو والده أو والده أو دا عنه يستحب له أن يقبل يده مع المصافحة، كما كان الحال من هذين مصطفى محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه الأكرمين رضي الله عنهم وأرضاهم، لقد كان يدخل ثلث أسابي على أس من ذلك فيقول أنس خذ يده محمد بن حمزة بن موسى طيباً أمس به يدي فإن أس بي ذنت لا يرصني حتى يقبل يدي، يقول يذ مس يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمصافحه لهذه الحشمة، ويقبل بعد ذلك يده، فيستشعر في ذلك أن كفه قد لمس كف محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم المحبوب لله بأسمى معاني المحبة، فكم يقبض على القلب من هذه العواطف والمعاني الرفيعة ما يقبض بواسطة تلك اليات الصالحة

كما أن امتداد اليد لمصافحة أحيات محرم في الشريعة، مهما كان من دون حائل فذلك هو الأصل، فيسعي احتساب ذلك واسعده بن في آخر عنه عنه

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، أبواب السلام - باب في المصافحة (الحديث ٥٢١٢)

(٢) رواه أبو يعلى، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء الجزء الرابع

الصلاة والسلام لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيطٍ خيرٌ له من أن تمسَّ يده يَدُ امرأةٍ لا تحلُّ له»^(١) أي من غير المحارم.

كلُّ دُنْثٍ بينَ أنْ هذه الشريعة في سعتها أحبُّ النظمِ مُسَانَّةُ الحركاتِ والانطلاقِ لإِسْنِ أيِّ عَصْوٍ من أَعْصَانِهِ، فهو يعبر عن مُمكنِهِ واسعه بواسطة هذه الأعضاء لتَصَدِّقَ نَفْسُكُمْ وَكَمْ ظَلَمَ الدُّنْثُ نَفْسَهُمْ بِجَهْلِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْأَعْصَاءِ وَنَفْسِهِ، وَتَتَصَيِّعُ بَصَاعَةُ الْقَلْبِ الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ تُكْسِي حَرَكَةَ الْأَعْصَاءِ هَاءً وَحَمَلًا وَقَدْرًا وَشَرْفًا وَكَرَامَةً، وَلِإِنْطِلَاقٍ مَعَ النِّعْمَةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِؤَدْيٍ إِلَى فَادٍ كَثِيرٍ مِنْ حِصَانِصِ الْحَرَكَاتِ، حِصَانِصِ الْإِنْطِلَاقَاتِ هَذِهِ الْأَعْصَاءِ. لِأَحْلٍ ذَلِكَ كَانَ تَذَكُّرُ إِبْرَاهِيمَ الْمِصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُرْتَبُطٌ بِمَعْنَى الْقُرْبِ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَبِمَعْنَى مَصَاحِقِ الْعِبَادَةِ وَالْأَمَةِ، نَهْ الْأَثَرِ الْكَبِيرِ فِي تَتَوِيحِ حَرَكَاتِهِ بِغَلَاءٍ وَقِيَمَةٍ مُحْصُوصَةٍ، وَمِنْ حِمْدَةٍ دَلَّتْ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَصْرِفَةِ الَّتِي يُثْبِتُهَا الْأُفْعُ وَالْأَحْوَةُ وَالْمَحَبَّةُ وَيُرْفَعُ بِهَا الْغُلُّ وَالشُّحْنَاءُ.

الْهَمُّ ثَبَّتَ أَيْدِيَنَا عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى مَا بَرَصِيكَ، وَاجْعَلْهَا لَا نَقْدَمَ لَنَا إِلَّا مَا يَسْرُّنَا عِنْدَ مُتْلَاقِيكَ فِي يَوْمِ الْمَابِ يَا رَبَّ الْأَرْسَابِ يَا كَرِيمَ يَا وَهَّابَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْمِصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) رَوَاهُ الطِّرَافِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ

الدرس الحادي عشر

مقام تورع اليد عن أخذ ما لا يحل

الحمد لله أبلغ الحمد وأتمه على كل حال، وصلى الله وسلم على رسوله بالهدى والحق والبر والخير، محمد بن عبد الله صفوته وعبي الله وصحبه خير صحب وخير آل، وعلى من تبعهم بإحسان، إلى يوم وضع الميزان.

أما بعد فإن محلات حركة اليد في علم الإنسان وممكناته أو أسعفة محال واسع، وله أوجه يحملها تؤدي إلى نتائج وثمرات كثيرة وقد تحدث عن أثر اليد في مسألة المصافحة من بعض وجوهها وحواسنها، كذلك شأن اليد في الكف عن أخذ ما لا يحل صغر أو كبر، قل أو كثر، بصغي معني من معاني الروحانية وأنوار الإيثار التي يعمر القلب وهي التي تنهي عند إطفاء ضوء الشمس والقمر * فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم * فمن أعلى وأشرف ذلك ما تُكسب من نورانية الإيثار بواسطة كف اليد عما لا يحل من كل ما تتمكن من أخذه، من كل ما تتمكن من إدخاله في حاسنها، من كل ما تتمكن من تعييبه عن صاحبها لتتجنب به بأي وجه من الوجوه فالكف عن ذلك علامة الإيثار وثمرته ليريدته وسبب لرصود الرحمن ببارك وتعالى

التحذير من التساهل بحقوق الغير

التساهل بما تأخذه اليد من الشهية والحرام يستقوي لإطفاء نور الإيثار ولوفاة على غير الإسلام والعباد بالله، ولما احتصر بعضهم عند الموت جعل من عنده يقول له

لا إله إلا الله فلم يستطع أن يفهمه، فبدأ حاصراً في كلام آخر ربه حاصص معهم، فبدأ
تكرار ذلك منه، صبح بعض من جوانبه وقد بدأ نكتة إذا قد لا إله إلا الله؟
وتكلم بالكلام الآخر؟ قال: كنت أردت أن أقول أحسست شكوكه الميران توصل
على لساني فلا أستطيع أن أنطق بها. وقد كان ذلك الرجل تاحراً، برز الصنيع
وبيعه للدرس، وكان محمياً في قلبه من مرض يأتي لأمر يسير بسيط لكنه يشغلي به عبط
نفسه، وذلك أنه يعتمد بعض الثواب من على الكفة التي يصنع فيها الأوقاف ولا ينفخه
عن الكفة الذي يصنع فيها الصدقة، وكله يكون أثر هذا الغرابة لكنه يشير إلى وصف
في القلب، وهذا لوصف القلب الذي أحب أن يأخذ من أمواله ليسر منها و
بدلت، بأساً لعظمة امرقب له ولدي حرم عليه أحد الشيء من غير حله * يناديها
الدين: «امنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن
تراض منكم» ولا تقولوا أنفسكم: إن الله كان بكم رحيماً * ومن يفعل ذلك
عذوباً وطمعاً فسوف يضل عليه ناراً * وكان ذلك على الله يسيراً *
عن قول كلمة الحق بذلك المرض القلبي الذي لم يظهر منه في عالمه الحسن إلا أنه يعتمد
صنع هذه الكفة ولا ينفخ الأخرى فكان ذلك تجمع عليه فأظلم قلبه فحبل به وبين
كلمة الحق عند الموت، فهذا كمال الأمر هذا، أحول فكيف ما وراء ذلك؟!

ولقد جاء أن عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل لصلاه والسلام كان ممن
أحبهم بعد الموت صاحب قبر، لما قام قال: أوفيت القيامة؟ قيل لا! ولكن روح الله
عيسى بن مريم دعا الله فأحياك قال: لم أحييتني يا عيسى بن مريم؟ قال: نعمت بك،
كم لك من حين مت؟ قال: سبعون عاماً، قال: فما وجدت؟ قال: كانت أعمالي صاحبة

وتحور الله عني إلا أي حلت يوماً خطأ لعصر الناس فلم وصلت به إلى مكان وضعه في مرله حصري شيء بين أسابي فأحرحت مسجداً فجعلت أنحلل به ثم رمته، فحوسست كيف أحدث هذا المسجد من مال العبر، فلي سعون عدما موقوفاً معدت حتى يموت صاحب الخطب فيسأخني أو يأخذ حقّه مني..

كل ذلك يدل على ما أشر إليه اخو بقوله * وَنَصَعُ أَلْمُورِينَ أَلْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أُنْتِهَا بِهَا وَكُفِيَ بِنَا حَنِيبِينَ * وقال صلى الله عليه وسلم «من اقتطع حقَّ امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحَرَّمَ عليه الجنة، فقال له رجل وإن كان شيئاً سبياً، يا رسول الله؟ قال وإن قضيباً من أراك»، وقال صلى الله عليه وسلم «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين» مقدار شبر الواحد الذي أحده من أرض العبر يوضع على عنقه إلى سبع أرضين ويحملها * وَقَدْ خَاكَ مِنْ حَمَلٍ طُلُمًا * قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس»^٣.

وقد وحدث أمثال الورع في تاريخ هذه الأمة والأمة السافرة من الدين تورعوا عن القليل والكثير خشية العلي الكبير، قل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كما يدع

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب - وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالسار (الحديث ١٣٧)

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أصابع (الحديث ٢٠٢٣) مسلم في كتاب المساجد باب

تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها (الحديث ١٦١٢)

(٣) رواه الترمذي في أبواب صفة الصلاة (الحديث ٢٥٦٨) وابن ماجه في كتاب الزهد باب الورع والتقوى (الحديث

٤٢١٥) وإحاكم في المستدرک عن عطية السعدي وقال - صحيح الإسناد

تسعة أعشر لحلال محبة ان يقع في الحرام كل ذلك يُبَيِّن أن كسب اليد حطير في كل ما تأخذه من حقوق الغير، لذا وجب الاحتراز والاحتياط.

إن لدة حفيضة في ساعة يسيرة داهية لا توارى حرياً أمام الحذر في محطته إليك كيف أحدث حق الغير قل أو كثيراً فللعتاب والخطاب وحده ألم فكيف بالعدا وكيف بأحد الحسنات؟! لأجل هذا عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن المفلس الذي يطلق أعضائه في غير ميراث فيظلم الأحرار ويتعدى الحدود ويصنع الحقوق فتذهب جميع حسنة، وقد كنت كثيرة كأمثال الحب من صيام وصدقة وصلاة وأعمال صالحات فتذهب أذراع لريح، قل صلى الله عليه وسلم لأصحابه «أتلدروا ما المفلس؟»، قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع فقال «إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسنة وهذا من حسنة، فإن فُتيت حسنة، قل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» أطلق لسانه أطلق يده في حرم الله عليه، وفي أحد حق الغير فيأخذون من حسنة، ويد فئت حسنة وبقي عليه شيء أحد من سيئاتهم فطرحت عليه ثم أمر به إلى النار والعياد بالله، فهو تعرف حقيقة إيمان لإسناد، وفي ذلك قالوا

لا يغرثك من المرء	قميص رقعته
أو إزار فوق نصف	الساق منه رفعه
أره الدرهم تعرف	غيته أو وزعه

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم (الحديث: ٢٥٨١)

عند المعاملة بالدينار والدرهم يسير الأمر وحقيقته، وما يحمل هذا القلب من إيمان وورع وتقوى، وما يفتقده من ذلك، عند الأخذ والعطاء، عند التدبير والدرهم.

قال سيد عمر بن الخطاب لئدي أرد أن يركي شهادته رجل لبحر انه عدل فتقبل شهادته، قال له هل علمته بالتدبير والدرهم الذي تعرف به ورع الرجل؟ قال لا، قال هل رفقته في السر الذي تعرف به مكرم لأخلاق؟ قال لا، قال هل حاورته فعرفت مدحه ومحرجه؟ قال لا، فصاح به عمر، نعمت رأيته فاني وعدا يصلي في المسجد يرفع رأسه بزه ويخفصه أخرى، فرد الرجل بعه "فمن به عمر اذهب فبئس لا تعرفه ليس هذا هو الميراث لصدق الإنسان مع نفسه ولا خيول الإيمان في القلب ولكن احتار له ثلاثة أنواع أوها المعصية بالتدبير والدرهم، وثانيها سفر ترافقه فيه تكشف لك به صدقته، وثالثها محاوره تعرف بها المدخل والمخرج

الورع وسيلة لتحقيق رضوان الله

للتورع عن أحدا ما لا يحل قدر عظيم، وبئس كبير إلى تحقيق رضوان الله، ونحصل النجاة في العقبى. فيحب حفظ اليد عن أحدا ما لا يحل لها، صغرا وكبرا، قبل أو كثر، وقد جاء في الخبر "يا معاد إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عييه وعن فتات الطين بإصبعيه" وروى عن عمر رضي الله عنهم "لو صلت حتى تكونوا كالحدايا وصعتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقل ذلك منكم إلا بورع حاجر، وفي الخبر، "يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس" تكون عندك حقيقة لعباده فتكون

١) رواه ابن حاتم في تصديره. وروى أبو يعين في الخلية نحوه

٢) رواه ابن ماجه في كتاب الرعد - باب الورع والتقوى (الحديث، ٤٢١٧)

من أعد الخلق بواسطة التورع عما لا يحل فذلك تقوم حقائق الإيمان، ويصفو
المحتمعات، ويستقر الحال بالخلاتق، ولا يزال الناس مختلفين في درجات إيمانهم الذي
يحملهم على الكف عما حرم الله، وكفى اتع الإنسان من القصية كفى بالمرية

ولقد ذكروا في الأسر الصالحة في تاريخ هذه الأمة أن ربة البيت إذا حرج مروح
لبكتسب فم المال لتقنتهم قانت له. يا هذا انق الله فيم تكسه يدك وتدحه إلى بيت
فأكله، وبه يمكنا الصبر على الخوع ويمكنا الصبر على الضم، ويمكنا الصبر على
لعري. لكن لا يمكنا الصبر على الشر، فإن أدحت إلى شيء من شهوة أو من حرام
فأنت لمستول عنه وقد برئت دمت أمة لله هذه وصايا النساء الصالحات للرجال
الصالحين أيضاً. وهذه أحوال الأسر التي آمنت.

فبظن إلى أنفس يحب أن تأخذ من دهرها لا تأتي من أين جاء، والانس والروح
الممتار الطيب الكرم لشخص عندهم من جاء هم يأت على أي وجه كان، ومن لم يبال
من أي باب دخل عليه انزرق لم يبال الله به في أي واد من أودية جهنم أهلكه.

اللهم ارفق بالتورع عما لا يحل، و ارفق مرافقتك فيم تأخذ وفيما نعطي، وكن لنا
بما أنت أهله يا رحمن في جميع الشؤون ظاهراً وباطناً.

وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني عشر:

ضوابط الضرب وخطر القتل

الحمد لله العليم الخبير، شهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير وشهد أن سيدنا وسناً وقره أعيننا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق لبطهره على الدين كله ولو كره المشركون، اللهم أدم صلواتك على المصطفى من حنفت سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأحرار ومن سار في سبيلهم في الأسرار والإحار

أما بعد، فإن من حملة ما يتعق بكسب الأيدي أمدادها بالصر ب لغير، الذي يؤدى إلى الألم وتصيب حق العير، وقد جاء في نظم الشريعة المظهره ما يرتب قانون الصرب باليد في مملكة الأعضاء مع القلب في الإنسان، فُضمت تنظيمياً حسناً برفع الإنسان عن فعل ما يسيء وما يشين وما يوجب السوء ويوجب التحالف والتنازع، ووُجّهت اليد لأن تمتد بالصر ب على كفيه مخصوصة لما يرفع، للنأديب، للتقوس، للتعدّل، للإصلاح، للتفريب للخير للإبعاد عن السوء، ورتبت ذلك ترتيباً بأن يكون الصرب في غير الوجه، وأن يكون غير مَرَح أي لا يكسر عظماً ولا يسيل دمًا.

كل هذا الترتيب جاء في الشريعة لأن الحق تعالى عند الحكم بين العباد يأخذ أثر يد كل إنسان فيما مسّ به جسد الغير بضرب أو أدى، ولذلك جاء في الخبر أن

الحق تعالى يقول «أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتضه منه، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتضه منه، حتى اللطمة» .
 لأجل كل ذلك يقوم القصاص في القيامة إلى حدود تتعدى المكلفين، قال صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح «لتؤدَّنَ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة. حتى يُقاد للشاة الجليحاء من الشاة القرناء» فتحوّل قرون هذه إلى رأس الأخرى فتطحنها بقدر ما سطختها في الدنيا، فإذا كان هذا العدل من الله بين الحيوانات فكيف سيكون عدله بين المكلفين أهل الأسع والأنصر والعقول والدين ثلّعوا الرسالة وحاءهم الحمر عن الله تبارك وتعالى فتاهل أحدهم في حق العير؛ وقد حاء في سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه لم يصرب بيده رجلاً ولا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً، إلا أن يجاهد في سبيل الله

حدود الضرب في الشريعة

الضرب المأدون به في الشرع إنما يأتي لتأديب على الوحه المعنوم، وذلك بأن لا يبلغ أدنى الحدود وهو عشرين ضربة للعد المملوك وأربعين ضربة للحر، بل

(١) رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني في الكبير

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم (الحديث: ٢٥٨٢)

(٣) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي

في القول الآخر لأهل العلم أن لا يتجاوز الصرب للتأديب عشر ضربات . لأن المقصود تقويم للنفس وتهذيب وتأديب، وليس المقصود هو الإيلام ولا الإيحاء ولا الأذى. فهذا الصرب وسيلة من الوسائل تستخدم للمتعلم أو للراي أمام الأب، أو للمولي أمام من هو مؤث عليه، كل ذلك هذه الحدود التي لا تتجاوز

إما الحدود هي التي فيها الصرب إلى الأربعين إلى امائة كما هو مبين في القرآن الكريم وفي السنة العراء، فخذ من شرب مسكر أن يصرب أربعين ضربة ليكون ذلك رحرأ له وإبعاداً له عن الوقوع في هذه الدباء وهذا السقوط الذي نعصب به ربّه تبارك وتعالى ويفقد به خير حياته، وفي الخبر (من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه)

وقد ورد الاتيه من مسألة الصرب بتدكر الفصااص، وهذا أمر اسند بد احتاج إلى تأديب العبد المتعجرف أو المؤدى أن لا يتجاوز به الحدود، وقد رأى صلى الله عليه وسلم أبا مسعود الأنصاري وهو معصت ويضرب عده ضرباً قوياً فكان يتأديه من ورائه: اعلم أبا مسعود! الله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال. يا رسول الله هو حرّ بوجه الله فقال

(١) وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل أبو البردة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحد أحدكم فوق عشرة

أسواط، إلا في حد من حدود الله تعالى) متفق عليه

(٢) رواه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة بإسناد صحيح

«أما لو لم تفعل، للفتحك النار، أو لمستك النار، أي كان هذا العتق كهارة لك، وإلا فلاند بعد هذا الضرب أن نحاسب فتلعث النار ولكن كفرت عن نفسك بعنق هذا الإنسان وإخراجه من الرق إلى الحرية.

فعلم بذلك مستوى الصرب وكيف يكون الصرب، وأن الأمر مؤدً إلى محاربة وقصاص في القيامة، لأجل ذلك وحسب، لا تتعاضد عن الاعتذار بالقوة ولقدرة على الإيذاء، وأن تُسحر اليد للكية بالظالم المعتدي لصدّه عن ظلمه وعدوانه، وللكية بالمعادي لله ولرسوله الضارّ المؤديّ المعتدي الصائل المحاور الحدود الظالم للناس، فيها تُراد قوة اليد لردّ هذا الظمان ولردّ داك الظلم عن الناس، فسيرها في غير ذلك يكون على الإنسان هوان وحسرة، فيجب أن لا تُسعمل قوة البدن، فلا يصرب بها إلا فيما يكون فيه حراسة الخير والدين والمصلحة الحقيقية للناس، وذلك يكف والزجر عن السوء واحمل على فعل الخير

التنبيه على خطر القتل

إذا علمنا ذلك انتهت من مسألة انبلاق اليد التي ربما توصلت بعد ذلك إلى أمر شنيع شديد عريب، وهو أن تسفك الدم بواسطة ذلك الصرب بأي وسيلة، وليس في الدنوب والموتقات والمهلكات والكبائر والحرائم بعد انشراك بالله تعالى

١٠، رواه مسلم في كتاب الأيمان باب صحة المهادنة. وكفارة من لعم عند، الحديث ١٦٥٩، وأحمد الترمذي وأبو

أعظم من القتل، قتل النفس التي حرم الله إلا باحق، قتل النفس التي لا تحل قتلها، إلى حد أن قال عليه الصلاة والسلام: «إذا تواحه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار»، قيل، فهذا القتل، في مال المقتول؟ قال: «إنه أراد قتل صاحبه»، فمات وهو في الحرص على قتل صاحبه فهو في النار والعبد بالله أن لا يتعدى

فالمسألة خطيرة لأن هذا الصرب يؤدي إلى نزع شيء من أعضاء الإنسان أو إلى قتله أصلاً.. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَحِرْؤُهُ جَهَنَّمُ خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ وبمثل هذا الكلام ومن صدر يكفك رحرأ عطياً ناعاً عن هذه المسألة الشعبة حتى جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»، فإذا أصاب الدم الحرام صحت الأثر على نفسه والعبد بالله

فعلى المسلم أن يتنبه من انطلاق يده إلى أحساد غيره، فلا يحل له أن يشاول صرب أحد ولا مشه بألم إلا على تلك الحدود الشرعية في لأوجه ابرصية تنت المبادئ والترتيبات الإلهية، فحينئذ نستقيم اليد على أن نحسن ولا تنسى، في حالة العطاء للحرير أو في حالة الصرب لتهديد، تكون في كلا الحالين تحسه لا مسبته، متعلقة بالنية الصالحة في الصلاح وفي إصلاح النفس الشربة والمجتمع الذي

(١) رواه البخاري في كتابه من كتاب د على من سبهم سبهم الحديث ٦٦٦٣، مسلم في كتابه من ٦٦٦٣

الساعة - باب إذا تواحه المسلمان بسيفيهما (الحديث ٢٨٨٨)

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب اللغات (الحديث: ٦٤٩٦)

تعيش فيه، فيرتب على التورع في مسألة إطلاق اليد لصرب الآخرين حبراً كبيراً في ذات الإنسان، وفي المجمع الذي يعيش فيه، ويُتجنب بعد ذلك ما وراء ذلك مما هو أشد حتى يصل إلى القمة في الدب الذي احتلف فيه أثقل التوبة من صاحبه أم لا؟ مع أن جميع الدبوت متفق على قبول التوبة منها حتى أفحشها وهو الشرك بالله، أقطع المعايير والدبوت كلها، لكن باتفاق العلماء أن من تاب عن شرك إلى التوحيد وأمن بالله فهو مقبول، واحتلف في قبول توبة من تعمّد قتل المسلم هل تقبل أم لا؟ فبلغت الشاعة لهذه الجريمة هذا المستوى وهذا الحد!

فوحى الرعاية للحدود الشرعية والعناية بالصواب في الشريعة المحمدية لا إطلاق هذه اليد التي يكون بها الخير في عد، ونحزى ما كسبت ﴿يَوْمَ تَحْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَصَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ شُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَنَفْسِهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ زُءُوفٌ بِالْغِبَادِ﴾ سورة ٢٠.

اللهم صر أيدينا عن كل ما يوحى الفصيحة والعار وسوء المصير، واختم لنا بما أنت أهله يا حي يا قيوم وطهر لنا الأعضاء والقلوب وتب عيب لتوب، بوحاة نيك محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار في سبيله ودربه، وسلم تسليماً كثيراً.. والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث عشر

رعاية ما يدخل البطن

الحمد لله القوي المتين، وصلى الله وسلّم على عبده المصطفى الأُمّ، سيد محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد. فإن مما تنطبق فيه اليد تناولها لأنواع الأطعمة والمشروبات واستعمال البطن لذلك وحود الآثار بعد ذلك الطهارة والصفة على الجسم والروح والقلب، ومن هذه حياء الشريعة في كهاها سسط الأحكام والآداب بها يتعلق بالطعام والشراب، وترتب على ذلك قفم حصون في سؤله الإنسان تحو به وبين الشهات والمحرمات، واستمطار رحمت من الحق فيها يقوم به من مراعاة تلك الآداب ولقواعد في تناول ما يطعم وما يشرب ﴿ وَكُلُوا مِمَّا زَرَقَكُمْ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا ﴾ . وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا زَرَقْنَا لَكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِبْنَاءَ تَعْدُونَ ﴾ * . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) (١).

مراعاة الحلال في الطعام والشراب

تأتي الملاحظة الأولى فيما يتناوله الإنسان من طعام أو شراب أن يكون حلالاً، ومعنى أن يكون حلالاً أن يعد من ورطاب تسلط الهوى والشهوة، إء تصل

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء . باب سبحان حمد لله تعالى بعد الأكل والشرب (حديث ٢٧٣٤)

بالإنسان إلى الحيانة والطغم والعدوان والسوء والاعتداء على حق الغير، فذلك الخلل يقع من اختلال ميزان مراقبة الحق تبارك وتعالى.

فيما شارك المؤمن من لا يؤمن في أن بعض انتصافات في أحد حق الغير تؤدي إلى اضطراب وحلل في المجتمع والمعاملة، فيه ينمير عنه بأنه فوق ذلك كنه يرتب عليه حمل المستقل كنه، وحمل المصير الكبير الذي يصير إليه، بل ويوصله ذلك إلى عصب الإله الذي يؤاحده عم كان منه ومن هنا جاء عن الإمام عبد الله بن المبارك أنه قال: رد درهم من شهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف، فإن رد ذلك الدرهم من الشهة دليل على حفيظة الإيمان في القلب وحشية الرحمن حل حلاله

ومن هنا تورّع الإمام أبو حنيفة عليه رصوان الله عن أحد شيء من مال كثير اقترن شهة حفيظة، وذلك أنه أرسل خللاً كثيرة، وأحرر وكيله أنه يوجد في الخلّة القلاية عيب فلا تبعها حتى تبين للمشتري ذلك العيب فلما وصلت وحد الوكيل مشترياً اشترىها حنة واحدة فسي أن يبتر له العيب في المعية معها، وكتب إلى أبي حنيفة بحره أنه قد باع الخل التي أرسلها بملغ كبير وكان فيه ربح كبير، فأرسل إليه هل يبت للمشتري العيب في ذات العيب معها؟ فكتب إليه أي عقلت عن ذلك إذ قد اشتراها دفعة واحدة، فأرسل إليه: لا تدخل شيئاً من جميع مبلغها، رأس مالها وربحها إلى تحارقي، بل أحرجه وتصدق به ولا تعش تجارتي بشيء من ذلك.

فلم يرض أن يأخذ مقدار رأس المال من هذه الخيل، لأنه احتط رأس مالها برسخها واحتلط رسخها بأن واحدة ذات عيب لم يُبَيّن وفترت بمعنى من العشب للمسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم «من غشاً فليس مما» فتورع عن ذلك المال كله خشيةً من الحق جل جلاله وتعالى في علاه.

إدب وفي تنويع الأموال الذي يأتي من حمة عاينته ومقاصده أن يقدم الطعام ويؤخذ ويشتري ليصل إلى الفم ليصل إلى البطن فتكوّن منه الفوه واللحم للإنسان وفي الحديث الصحيح «كل لحم نبت من سحتٍ فالنار أولى به» فما جاءت آداب: أن اجلس على هيئة كذا، وذكر اسم الله تبارك وتعالى، وتأدب تأدب كذا إلى أن تنتهي من طعامك، واحمد الله إلا ليكون في الأمر أبص اتصال تدبّر أهو حلال أم حرام؟ وبالطهره إلى ما تنويه أهو على وفق الشريعة أو مخالفتها؟ كل ذلك يؤكد لنا عظمة هذا الدين في وحوث لاحتياط فيه تناول، فإنه لا تقوم حقيقة الإيمان إلا بالتورع عما لا يحل.

وبذلك جاءت سره الصحابة الأكرمين فمن تعهم بإحسان بمعانٍ واسعة من هذه الاحتياطات والاحترارات في يأخذون ويدعون، وفيهم تناولون، إلى حد أن رُفع إلى ذي النون المصري طعامٌ وهو في السجن واعتذر لمن أهداه إليه وقال أعلم أن مالكم من حلال لكوبيكم أهل ورع، لكنه وصلي على طبق طالم، يعني يد السجّان، فأنا أحتزر عن أكل ما وصلي على تلك اليد. وهذا من غير شك أمرٌ

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب من سبي صلى الله عليه وسلم من عنه فليس منه "أ" حديث ١٣

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة وهو عند ابن أبي عمير لا يروى عنه من سحت إلا كانت النار أولى به

وراء ابراهيم وهو درجات عالية في سورع تدب بأهلها من ورع الصديقين وورع الأكياس من خيار الناس.

وقد كان لسيدنا أبو بكر الصديق علام يخرج له احرار، واخراج شيء يجعله اسيد على عبده يؤديه إلى السيد كل يوم وباقي كسبه يكون للعبد، وكان أبو بكر يأكل من حراجه، فقدم له علامة يوماً طعاماً، وكان جائعاً ومشتعلاً ببعض الأعمال فأحده وأكل منه، فقال له العلامة من عدت أن تسألني قبل أن تأكل من أس حب هذا الطعام؟ حتى نتأكد منه وتتورع فيه واسوء له تسألني؟ قال: كنت مشتعلاً وبأذكر سؤايت فمن أين حب به؟ قال: مررت على ابن فلان وكان عندهم رواح فاعطوني ذلك وكنا قد عرفوني من أيام جاهلية إذ تكهنت هم وما حس الكهانة إلا أني حذعتهم، فلما قال هذه الكلمة أوقد من ورع الصديق رضي الله عنه ما يحزر به من أن أصل معرفتهم بهذا الشخص بس الكهنة في أيام اجاهلية، ولا فيه سيعطى كي يعطى العير عن عرف نبي بس ومن لم يعرف لأن القوم عندهم رواح وعادة العرب الكرم وتفرح من جاء وقت الواسمه وأن يعطوه، فقال: إنما أعطوك لمعرفةهم بذلك من بس الكهنة فهو شبهه تدحل في بطني، فأدحل يده في فيه فقاء كل شيء في بطنه، حتى طهر صوته وحاء بعض الخيران وقالوا ما خليفه رسول الله؟ قال: طعام دحل بطني في شهة لاند أن أحرجه، قالوا فاستعن على ذلك بكثرة شرب الماء حتى يسهل لك خروجك، فأحرجه ثم بقي يستعفر عما بقي من الآثار في معدته منه، فقالوا له: كدت أن تهتك نفسك! قال: قد سمعت النبي يقول: كل لحم نت من سمعت

فالنار أولى به، وأنا أحشى أن يسب حمي بواسطة ديث اطعمه فسكن سار أوى
ي، ولو لم يجرح الا سحروح روحى لأحرجته رضى الله عنه وإياه

التحذير من التهاون بالورع

كل ذلك يؤكد لنا أثر التربية التي حنفها رسول الله في هذه الأمة، وليس لا
يجوز أن يصيغ وتنقلت به تعرض عيب اليوم، يورد عيب يوم وبه يزين
اليوم، وبما برحرف لنا مصحف الواسع نستنتج ويكون ثبات لكل داعق
وصيغ قواعد دين وأمس في منتهى هديا وشرعة الله تبارك وتعالى، بل يجب
تتقظ ضائر المسلمين أن وراء اليوم يوم، ووراء الحياة وقوف ومحاسبة وأنه
يمكنهم أن يستفيدوا كل خير مع الورع والاحتياط وفي الحديث من ترك شيئا
لله عوضه الله خيرا منه، وأنه يبرؤة الأمور على غير وجه لأحبص ولأرجح
تأني إليهم الكسات، ويصدون بها نصيب به من لم يؤمن بالله تبارك وتعالى،
والمؤاحدة عليهم أكد قد حاربوا عهدهم بعد الشهادتين وبعد إعطاء المشاق
والعهد، لذلك يعني أن يطر الإنسان إلى ما يدخه بطنه، ويدخله بطون وجهه
وأولاده وأهل بيته، حتى يكون ديث على نصيب من خل

(١) أول هذه القصة رواها البخاري في كتاب فضائل الصحابة - باب أيام الخاهلة رقم ٣٩٢٠

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده - باب من دعا إلى هدى - لا يدرى ما له من أجر ولا ما له من عذاب - رقم ١٠٠٠٠

بالمعنى إنك لن تدع شيئا اتقاء الله إلا أبدلت الله به ما هو خير منه

قد يقول كثيرٌ من الناس: إن الشهات انتشرت، والمحرمات انتشرت، والربا انتشر! يقول مع كل ذلك لا يزال أمر الورع قتيماً على الوجه المناسب مع انتشار الشهات في العصر والرماد، ومع كل ذلك ولم يفرق كبير بين من لا يبالي وبين من يبالي، وبين من يقصد الشهات غير عابئ، وبين من يختار قدر استطاعته

ومن الأمور ما هو حرامٌ بصرف، ومنها ما فيه شهوة ومنها ما شهته أكثر ومنها ما شهته أقل، والتفرق بين هذا من الحق في الشريعة «ولو كنت الدي دماً عيصاً جعل الله قوت المؤمن منها حلالاً». فغلب قدر المستطاع أن تتجنب الحرام الصّرف، وتتجنب ما الشهوة فيه قوية، وتجتار ما هو أبعد عن الشهوة حسب المستطاع. والله يأخذ بيد الذي أراد الخير ويثبتّه.

سأل الله تعالى أن يرزقنا فهم حقيقة وهي أن ما عند الله خيرٌ وأبقى وأن يقهر الأنفس وأن تُحصع المعاملات لأحكام الشرع المصون

الهم وفقنا لذلك واشتر الخير فيما ولد وما وما وعيب، ولا تكب إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، ولا تفتننا به آتينا ولا بما رويت عما يارحم الراحمين.

وصلّى الله وسلّم على المصطفى محمد وآله وأصحابه ومن سار في طريقه
والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع عشر

رفعة اليد بسؤال الحق تعالى

الحمد لله أفصل الحمد وأتمه وأندعه على كل حال، وصلى الله وسلم على عبده
الهادي محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد فإن في كسب يد الإنسان أوجهاً متعددة ما هو حب الخير له وفوره
وسعادته. والعكس كذلك، فهو حب أن نحس التصرف بهذه اليد

ومن حملة ذلك ما حاءتنا به الشريعة من احذر من مدّها لغير الله تبارك وتعالى
طمعاً وطلباً للمتّع، وذلك بتفويجه عره نفسه وعنفها على أوجه المطلوب الذي
لا يؤدي إلى تعرّب يُخرج عن الحد بحيث يُكفّ عن طلب ما يضطر إليه أو يكون
فيه المصلحة العامة للمؤمنين، ولا يكون حشعاً وطمعاً ولا إخافاً وإخاحاً

ثم سؤال الناس

حاء التحذير من السؤال باسم الحاجة مع وجود محقه اليوم ومدينة، وأنه
باسم الفقر والمسكنة لا يجوز سؤال مع من يجد قوت يومه وليلته حتى يمضي
اليوم والليله ثم لا يجد شيئاً فيسأل بمقدار ما يكفيه في يومه وبيته وورد أنه يأتي
حدوثاً في وجه صاحبه يوم القيامة «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلتقي الله وليس
في وجهه مُرعة لحم»، أي قطعة من لحم، فيتسقط لحمه كله ويذهب هدرًا، لأنه
يكثر مدّ اليد لغير الله تبارك وتعالى طمعاً وجشعاً.

وهذا جاء الأمر بالنكس الحلال وشرعت المكسب بالوسائل المتعددة المتنوعة، وفي ذلك اكتفاء عن السؤال ومدّ اليد إلى الغير وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى» . واليد العليا هي المعطية والسفلى هي الآخذة ، من أحل ذلك التفت بطر الأكياس ونعلقوا بمدّ اليد إلى رب الناس، وقال قائلهم:

لَا تَسْأَلَنَّ نَبِيَّ أَدَمَ حَاحَةً وَسِرَّ الدِّيِّ أَنْوَثَهُ لَا تُحِبُّ
اللَّهُ يَعْصِبُ إِنْ تَرَكْتَ سَوْأَهُ وَنَبِيَّ أَدَمَ حَبْرٌ يُسْأَلُ يَعْصِبُ

ومهما ألححت على الإنسان وأكثرت عليه ملّك واستثقتك مهما كان كريماً وأعطى أولاً وثيباً، ولكن رب العباد كلما سألته وألححت عليه زاد رضا وراد كرمًا وإحساناً مه حلّ حلاله، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلْحِنَ فِي الدُّعَاءِ»^١ فأبرال المؤمن حاحته بربه مفحرة له وريح له وفور له

وهو سبحانه وتعالى يسر بعد ذلك قضاءها على يد من يشاء من العباد، لكن تعلّق القلب بالله أساس في النجاح والفلاح، وفي الخدر من الوقوع في شكة نسة الأشياء للناس نسة استقلال تحجب عن رؤية من يسيّرهم سبحانه وتعالى

والمُعطي راح، أعطى أي سأل كان، بحق أو بغير حق، ولا يرال للسائل حق ولو جاء على الفرس^٢، ولكن من علم وأيقن أنه يصرف المال الذي يُعطاه في محرم

(١) وهو البخاري في كتاب الزكوة باب لا صدقة إلا على طهر عن (الحديث ١٣٦١) ومسلم في كتاب الزكوة باب

بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (الحديث ١٠٣٤)

(٢) رواه الطبراني وأبو الشيخ

(٣) إشارة إلى حديث (السائل حق وإن جاء على فرس) رواه أبو داود.

في الشريعة يجب عليه أن يكف عن إعطائه فلا يعطيه، ومن لم يعلم ذلك منه فله الثواب في أن يعطيه، ولكن مع ذلك كنه فالسائل مدوم إن سار يكذب أو سأل برور أو سأل بظهار ما ليس فيه أو سأل باسم دس ولا دين عليه، أو باسم فقر وهو يملك قوت اليوم والليته إلى غير ذلك وكل سؤال حاء تروير وكذب فما يأخذه صاحبه هو حرام لأن من أعطي لأجل وصف وذلك لو وصف ليس فيه كان ما يأخذه حراماً لا يجوز له أكله ولا التصرف فيه.

كرامة المؤمن في سؤاله لربه

يحب على الإنسان أن يكرم يده برفعها إلى الرحمن تبارك وتعالى في مختلف الحاجات، في مختلف الطلبات، فهو العبي الذي يصرح بسؤال عبده، ويعطي ولا يبالي، ويجب المُلحِّين في الدعاء، قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

وكان شأن أهل القطنة والأكياس من المؤمنين أنه لو تعلّق الحاجة كائنة ما كانت بمخلوق في موطن من مواطن أثرلوها أو لا بالله وسألو الله ونوحوها إلى الله، ثم ذهبوا إلى ذلك المخلوق فعرضوا الأمر عليه، مع كونهم معلقين القلوب بالله تبارك وتعالى ثم لا يسعون شكره إن قصاه ولا يسعون عذره إن لم يقصه، وبذلك كتب بعض الأكياس إلى من جعل الله على يده قصصاً حاجة له فقال إن الحاجة هي كذا كذا فإن قصيتها فإن الله تبارك وتعالى هو القصي والموفق لك وأنت مشكور، وإن لم تقصها فإن الله تبارك وتعالى هو الذي لم يرد قصصها وأنت معدور فمثل الحال يصح التعامل وتصفو الأخوان ويصفو الناس

ولكن بالرغوبات النفسية يأتي الشئ من فلانا أعصابي وفلانا معي وفلانا رادي وفلانا بقصني وفلانا تسب في حرماي، ويسى أنه وتسبهم تحت قدرة القادر وقهر القهار، وأنه سبحانه وتعالى مهبط على أحد دواعي العطاء فلان أن يعطي، ومهب سبط على أحد دواعي الميع مع، ومع ذلك كله ولا بد من مشكور في أعطي، وهو ملوم عي مع مما يقدر على صروفه في احب.

إلا أن تغلق القلوب بالخلق وسيد اخلاق مريد فلو يوقعها في الأمراض وفي أنواع من الخفد والشحاء، على أن ليس نوصل إلى أعراض من والدنيا بوسائل كثيرة يحمل كثيراً من الخداع والعش والكذب والرور، فليعدم أصحاب الرصون إلى الأعراض المالية قلت أو كثرت هذه الوسائل أنهم خاسرون حقيقة في الدنيا والآخرة، ولن تمر السنين عليهم إلا وقد وحدوا معبة ما استحسوه أولاً، وكم ملء الدنيا من أمثلة! وكم من انكشافات واقتصاحات في الدنيا قبل الآخرة، وفي الآخرة بعد ذلك الأمر كبير وشديد * يوم هم برزون لا تحق على الله منهم شئ * لمس الملتك اليوم لله التوحيد القهار *

وجوب شهود العطاء من الله

وحب على كل ذي إيمان أن يبرح حاجاته بالرحم، فإن احتج إلى محاطة أحد فليكن بعد نوطير قلبه على أن الأمر لله تعالى، وليقصده من باب أن الله جعله مسأ ووسيلة، ولا يملأ قلبه تعلقاً به فهو يسى نعمة الله عليه أمامه، أو ينحامل عليه لأنه يعتقد أنه الذي مع وكان ليست له قوة إليها مرجعه، وكان إرادة الحق تعالى لم تتناول ما يحضه هذا الإنسان وما لا يحصله ومن هنا قال الإمام الخداد:

الذي قُسم لك حاصلٌ لديك والذي لعرك لن يصل إليك
فاشتعل برسك والذي عليك في فرص الحقيقة والشرع المنصون
أنت والحلائق كهم عبيد والإله فيب يفعل ما يريد
هُمُّك واعتماؤك وبحك ما يفيد القصء تقدم ف عزم السكون

لا يكثر هُمُّك ما قدر يكون

وهذا يصمو حال الإنسان مع الله تبارك وتعالى، ويصلح حاله مع خلق الله، يد
شهد أن المعطي الداع على الحقيقة هو الله تعالى في علاه، وما كان لأحد أن يسمعك
شيئ لو أراد الله أن يصدك، وما كان لأحد أن يوصل إليك شيئ إن كان الله معك
قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ وما يُمَسِّكُ فَلَا مُرْسَلٍ
لَهُ مِنْ نَعْدِهِ ﴿ وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ وَمَا
الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَأْدَى بِرَحْمَةٍ عَلَى مَا نَمَسَكَ يَتُوبُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَسَعِمَهُ اللَّهُ
تَجَحُّذُونَ ﴾ فالأمر إليه حل حلاله، وأوجه الطلب كما شرعت وتيسر له
يسعي أن لا تتجاوز فيها الحدود، وأن لا يصل فيها إلى خروج عن الأدب مع
الملك المعبود عر وحل، ولا إلى تحامل على الخلق في هذا الوحد ومن هنا كان في
تعلق الهمة بالله تبارك وتعالى رفعة للإنسان وعزة وكرامة، وبعد ذلك يأتيه الخير

وفي سيرة الحسن بن عبي رضي الله تعالى عنه أنه تأخر عليه ما اتفق مع معاوية
بن أبي سفيان على إرساله إليه في كل عام ليعفقه في أوجه الخير ويكرم به الصيف
وغير ذلك. فكثر عليه الدين وصاق به الخال فعزم على الكتابة إلى الأمير، فرأى
جده المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: يا ولدي أدعوب بقلم وفرطاس
لتكتب إلى مخلوق مثلك! قال: كان ذلك يا رسول الله ثم تركته، قال لا تفعل،

قَالَ فِي فِعْلٍ "قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ اقْدِفْ فِي قَلْبِي رَحَاءَكَ، وَفُطِعْ رَحْمَتِي عَنْ سِوَاكَ
 حَتَّى لَا أَرْجُو أَحَدًا غَيْرَكَ، اللَّهُمَّ وَمَا صَعَنْتَ عَمَّ قُوَّتِي وَفُضِرَ عَمَّ عَمَلِي وَلَمْ تَنْتَهِ
 إِلَيْهِ رَعْسِي وَلَمْ تَنْتَعِ مَسَانِي وَلَمْ يَجْرَ عَلَى سِوَاكَ عَصَبٌ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ
 وَلَا حَرَسٌ مِنَ الْآخِرِينَ فَحَضَّنِي بِهِ بِأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ بِهِ فِلْمٌ بِمَقْصُودِ
 الْأَسْوَحِ ثَبَعْتُ بَيْنَ أَصْعَافِ مَا كَانَ بَعْدَ إِسْرَافِهِ بَيْنَ فَرَايِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْبَرَهُ فَقَدْ هَكَدَا يَا وَلَدِي مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ بِرَحْمَتِكَ مُحْتَرَفِينَ
 فَيُحِبُّ أَنْ تَتَعَلَّقَ أَهْمُكَ بِاللَّهِ، وَأَنْ يُصَلِّبَ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ بِدَرْكٍ وَتَعَالَى

دَحَلُ هَشَامٍ مِنْ عَدِ الْمَلِكِ الْكَعْبَةِ فَبَدَّ هُوَ سَامًا مِنْ عَمْدٍ بِهِ مِنْ عَمْرٍ، فَقَدْ
 سَمِّيَ حَارِجَةً قَالَتْ بِي اسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ تُسَاقَ فِي بَيْتِهِ غَيْرَةً، فَلَمَّا حَرَجَ، وَبِالْأَلِ
 وَقَدْ صَرَبَ حَارِجَ الْبَيْتِ فَسَمِّيَ حَارِجَةً، فَقَدْ بِهِ سَامًا مِنْ حَوَائِجِ الدُّبِّ أُمٍّ مِنْ
 حَوَائِجِ الْأَحْرَةِ؟ فَقَدْ مِنْ حَوَائِجِ الدُّبِّ، قَالَ وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُ الدُّبَّ مِنْ مَمْلُوكَةٍ
 فَكَيْفَ أَسْأَلُهَا مِنْ لَا يَمْلِكُهَا"!!!

تَرْجُوهُ إِلَى اللَّهِ تَدْرِكُ وَتَعَالَى أَنْ يَعْلَى قُبُورَ بِهِ، وَأَنْ يَكْفَى يُدَبِّ عَنْ ائْتِدَادِهِ
 بِى مَا لَا يَسْمَعِي أَنْ تَمُدَّ إِلَيْهِ، وَسَامَهُ سَحَابَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَقْدِفَ فِي قُبُورِ رَحَاءَهُ
 وَيَقْطَعُ رَجَاءَنَا عَنْ سِوَاهُ إِنَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَذَكَرَهُ الدَّبَّيْ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ.

الدرس الخامس عشر:

حماية النفس والأسر من المطعومات والمشروبات

الحمد لله الملك الخواد الكريم، وصلى الله وسلم على عبده الرؤوف الرحيم،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سر في منهجه لقوسه، وسلك على صراطه
المستقيم.

أما بعد فإن في شأن الشهية ووصولها إلى الصور والأنداد، وأحد بُدَي
الناس لها أخطاراً وأضراراً لها قوِي الأثر في الحياة وفي إحصار وفي المصير، لأجل
ذلك كانت حمية الطور من دخول لشهية إليها مطهر من مظاهر الإيمان بالله
ورسوله، وسبباً من أسباب الصحة والحفظ والحراسة للحسد والروح، ولسلامة
الإنسان في الدنيا ثم في الآخرة لذلك وحب الاحتراز أولاً عن المحرمات في
ذاتها، مثل المسروقات والمعصوبات وما حُرِّم في حد ذاته كالميتة ولحم الخنزير
والشراب المسكر، أو ما يكون تحريمه طارئاً بسبب الكسب غير الصحيح

كل هذا يوقفنا على الحكم الإلهية في تحريم ما حُرِّم الحقُّ علماً، وفي بقاها من
موجبات الشفاوة والسوء، فيجب أن نصرف عنايه إلى تقويم التناول وما يدخل
البطون من المطعومات والمشروبات، ونلاحظ ذلك في أسرها وفي من لها ولاية
عليه.

فيأتي الحذر من السرقة التي تجعل فيها الحدُّ شديداً في لشرعة لشده صررها
وخطرهما قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كِتْلًا

مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ * . ولما سُئِلَ بعضهم أنه لو قطع إنسان يد إنسان فأراد القاطع الدية فكم يُعطى؟ قال خمسمائة دينار، قل. فإذا سرق ربع دينار هل تقطع يده؟ قال نعم، فقبل له: كيف تُقطع في ربع دينار ثم تكون دية خمسمائة دينار؟ فأحب إنما تقطع بعد حياتها، وأما قطعها من قبل إنسان اعتداءً عليها فلها الدية خمسمائة دينار، يقول المعري في ذلك شعراً:

يدٌ خمس مئين عسجدٌ وُديت ما ناف فُطعت في ربع دينار؟

فقال القاضي عبد الوهاب محياً:

عُرُ الأمانة أعلاها، وأرحصها دُلُّ الحياة فافهم حكمة السري

قال ابن خوري لما سُئِلَ عن ذلك إنها لما كانت أمانة كتب ثمنها، ولما حانت هانت.

حاء في الحديث: «لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»، قلوا والمعنى أنه يترقى من سرقة البيضة إلى أن يسرق ربع دينار بعد ذلك من حرز مثله فتقطع يده.

الابتعاد عن المحرمات أساس في النجاة

إن الابتعاد عن تلك المحرمات أساس في السلامة والنجاة، وإقامة الأسرة على هذه المعاني يكون حماية لها من موحات الشقاوة في الدارين، فلهتم بحماية بطونها من أحد مسروق أو معصوب مأخوذ طلباً أو ابناً بأي وجه من الأوجه

١٠ رَوَاهُ النجاشي في كتاب الحدود - ما بع يسرق، لم يسم، الحديث (٦٤٠١) ومسلم في كتاب الحدود - ما بع حد

المحرمه، أو كان محرماً في حد ذاته، كما حرم عسا امية والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، كما حرم المسكرات، وكل ما أزال لعقل وأبعد الشعور من القلب فهو مسكر وهو حرم وهو حرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»^(١).

وشرب المسكرات سبب لبرع الإتيان من القلب، ولا يكون انتشارها إلا في نبات غابت فيها رقابة الحق، عانت فيها حقائق الإيمان، عانت فيها التزينة، عانت فيها التواصي بالحق والصبر، عانت فيها التواصي بصريح الله وشريعته الله والصيحة في الله ببارك وعالي، وكم يتعرض لذلك أبناء وبنات المسلمين في غيبة آرائهم وغيبة أمهاتهم عما يُعرض عليهم وعن يساق إليهم، فيساقون له وهم في غفلة عن نسيهم وعن تحذيرهم وعن نعت ضمايرهم وهويم شعورهم بأنه ليس في انسياق الإنسان وراء ما تشتهي نفسه عز ولا كرامه، وإن في قبس تلك المشنهيات بميزان الشرع في أحل وما حرم، وأنه لا يُتَح تاول محرمات من المسكرات وغيرها إلا الشؤم وإلا الذؤم وإلا المرض ولا تنعب وإلا العذاب وإلا أنواع من المشقات، هذا الذي يحسنه الأصباغ وراء شهوة النفس أو مجرد تعلقها بتناول شيء من تلك المحرمات التي يهمل كثير من الآباء والأمهات وقع فيها أبناء وبنات، إما بواسطة ما يُعرض عليهم وسط البيت في بقوت وعلى الشاشات من تلفزيون أو إنترنت أو غير ذلك، وقد يكون الذي اشتراه الأب

(١) أخرجه مسلم في الأثر به، باب ما أن كل مسكر حرم، والكل حرم حرم (حدث ٢٠٠١) وأنه مروي وأما ما حرمه

ب نفسه فتعلم به ولده بعلقاً بمخدرات أو بحبوب مُسكرات أو ما إلى ذلك، فكان هو الذي جرى على نفسه وعلى ولده بيده، وكان بصرُ ولده بعد ذلك مستقرّاً للمحرمات التي يتّرع الإيّاها عن صاحبها عند فعلها كما صح في الحديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»، فلا يكون في وقت ذلك تناول على إيّاها فقط، بل يتّرع الإيّاها من قبله ثم قد يعود إليه وقد لا يعود.

وجوب حماية البيوت من الحرام

بحسب ضبط الأسس في الأسر والبيوت حتى لا يتعرض الناشئة والشباب إلى الوقوع في تلك المحرمات ومعصية الله تعالى بالنظر والأيدي بتناول المسكرات أو تناول المحرمات، بل يرتقي إلى تحصينهم من تناول الشبهات، وتناول ما فيه الاختلاف واختلاط الأمر والتساهل، فقد علمنا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمورٌ مشبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكلِّ ملكٍ حمى ألا وإن حمى الله محارمه»، فهو سبحانه وتعالى يعصب ويعار أن تُنتهك حرمانه التي حرّمها.

(١) رَوَاهُ إِسْحَارِي فِي كِتَابِ الْحُدُودِ بَابِ مَا حُدِّدَ مِنْ أَلْجُودِ الْوَدِّ وَشَرِبِ الْخَمْرِ (الحديث ١٣٩٠) ومسلم في كتاب

الإيمان بَابِ بَيَانِ شُعَائِ الْإِيمَانِ بِمَعَاصِيهِ، وَمِنْهُ عَنِ مَسْرُوعٍ مَالِغِصَةٍ عَلَى رِوَاةٍ فِي كِتَابِهِ (الحديث ٥٧)

(٢) رَوَاهُ إِسْحَارِي فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَابِ فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ دِينَهُ (الحديث ٥٢) أخرجه مسلم في المسألة، باب أحمد

للحلال وترك الشبهات (الحديث ١٥٩٩)

يجب الاعتناء تدماً بشأن ما يدخل بطون الآباء والأمهات والأبناء، وليس الأقارب والأسر ومن يصنعهم الطعام على أيديهم، ومن جمعهم في حصص من ذلك سد الثغرات التي تحملهم على التفكير فيه، عبر المحاضرة إما للأشخاص بالمشورة أو عبر الشاشات أو عبر ما يقرءونه وما يستعملونه، فقد احتوت المحاضر الناس من حوائط عديدة، واستثرت أسباب ووسائل الاقتراب من المحرمات.

ومع ذلك كله فالكل يُجمع على أن في هذه الوسائل إمكانية لتسييرها وتسييرها في الخير ولكن قل من يستعملها كذلك، فوجب أن يتفحص من العرائم لأن يكون متحكمين في تلك الأجهزة ولا يدعها من حكمة فيه، تأخذ منها ولا يمكنها أن تأخذ من غير أكثر الناس ومعه في أن تأخذ منهم تلك الوسائل ولا يأخذوا منها، أخذت منهم أعلى ما عندهم، أخذت عندهم فمهم، أخذت عليهم أخلاقهم، أخذت عليهم أديانهم، أخذت عليهم أولادهم، أخذت عليهم روجاتهم، أخذت عليهم أقاربهم، أخذت عندهم أعلى ما عندهم من القيم والمثل.. وماذا أخذوا منها!!؟

وما رأيي في واقع المجتمعات أن مشاكل خُنت سبب ما سُوء في الشاشات هذه أو اطلع عليه في أكثر تلك المحلات التي تحمل خلاعة والبداءه، وإنما يكون حل المشاكل بجهود المحلصين والصادقين وباستئجار أخبار الحق ورسوله ودروس العلم النافع. فانظر إلى خديعة العفول أنها تعلم من بعض تلك المسلسلات التي تحمل السوء لها حل مشاكلنا، والواقع أننا نتعلم منها إيجاد مشاكل لا

حلولها فوجب أن تتحكم في الآلات والأحجرام، ولا تدعها تتحكم فيها، ولا تدع ما يُعرض فيها يأخذ ما.. بل نحن نأخذ منها ما يفيد نفوة عريمه وحزم في التصرف في تسيير أمر الأسر ولأبء والسات؛ فإن المسئولية كسرة، والأمر راجع أيضاً إلى حقيقة المصلحة وحقيقة المنفعة هم، وكل ذلك يحتاج من إلى إيجاد قاعدة من الترتيب في القلوب تيسر لهم أخذ التوجيه من مخرج سرور عظمائية

فيحب الاعناء تدماً بما يدخل بغير أسانها وسبب، ومن ذلك أن نُحسنهم ما فيه المواد الصارة، الكيماوية وغيرها، فضلاً عن أشبه فيها، وكثيراً ما يختلط ذلك بمحتويات كثير من الأطعمة الآتية من قبل من لا يبالي بتناول المحرمات، فيكون فيها من الدهون مثل شحم الخنزير أو غيره من المحرمات في الشريعة؛ فنسكن على بصيرة، ونعلم أن الأمر أكثر من شوكلاته يأخذها الواحد ما أو شيء من المشروبات يتمتع بها ثم لا يبالي بمحتوياتها وما يكون فيها، فإن المسألة أكثر من مراد أو شهوة.

سأل الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما به يصح طواهرنا وبواطننا، وسأله سبحانه ونعالي أن يقذف في قلوبنا رجاء ما عمن سواه، إنه أكرم الأكرمين.

وصلى الله على المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السادس عشر:**ميزان الجدل ومقاصده**

الحمد لله رب العالمين الملك الكريم الخواد، وصلى الله وسلم على المعوث
رحمة للعالمين حبيب محمد خير العباد، وعلى آله الاطهار، وأصحابه الأحيار، ومن
سار على سبيلهم إلى يوم الوقوف بين يدي الملك الغفار.

أما بعد: فإن من أهمّ واحداث المؤمن في هذا العالم أن يكون حسن لإيراد
للقول الذي يصدر من لسانه المتعلق بقلبه وحنانه، ولتأخذ منه مجالاً يتعلق بشأن
المراء والجدال الذي يحتاج إلى نظرٍ دقيق في فهم ما يعيد منه وما نصر وأكثره
ضار؛ وما يقرب منه وما يبعد.. وأكثره يُبعد.

من آفات اللسان المراء والجدال:

من جملة آفات اللسان المراء وهو إظهار الاعتراض على قول، تعبر احتفاد الله،
والجدال وهو الدفع عما قاله أو اقترحه بعد ظهور بطلانه، وكل ذلك إذا تأملنا
التوجيهات الإلهية والنبوية نعلم أنه في أكثر الأحوال يسعى احسنه، وفي نادر من
الأحوال يحتاج إليه لكون سبباً للدين وردع موحب الافس؛ كل ذلك جاء في
أمر الله باتناع الأحسن عند الاحتياج إلى الحدس، قال تعالى ﴿ وَلَا تُحَدِّثُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . . . ، وقال تعالى ﴿ آذَعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النمل)

ومتى يكون الخدال يأتي هي أحسن؟ من غير شك أنه ليس خدال الشقي، ولا خدال الخط من مرحلة الأخر، ولا خدال العصبية، ولا خدال الأردراء، ولا خدال بيل العرص القاصر والقاني والدوء، ولكنه حدث حصي البين عن الله بتعميد مر عم صائل وصاحب شهة يعرض شهنة على نفس وفي هذا الخاب أمر أن يكون الخدال يأتي هي أحسن، بل يكف نفس عبد الخدال عما يخرج عن القصد الأصل، الذي هو إقامة الحجة وبيان الدليل وإزالة التمسك في السعي إلى الملك الخليل، وحينئذ يقصص علينا من فهم هذا الخدال أنوار السنة اسونة وكيف حاطب صلى الله عليه وآله وسلم وكيف حذر أهل الكتاب أو المشركين أو سؤهم؟ وعلى ماذا انصوت كمنته؟ وعلى ماذا انطوت بياته؟ وهل فيها شيء من السباب؟ هل فيها شيء من موحات النقرة الإنسانية بواسطة تحاور الخد أو الأعداء؟ بل الأمر فيه فتح أبواب التراجع للمستنصر والمُصنف ولطالب الهدى والحق، لذلك جاء التصريح عنه صلى الله عليه وسلم، إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة، وقال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء» فتت المحادلات على مثل هذا الحال، فكذلك يجب أن يكون الحال حتى في مجادلة الكفار.

١. مسند في كتاب الله ولعله والأدب - باب النبي عن عمر بن الخطاب وعمر (أحدث ٢٥٩٩)

٢. روى في أبواب برز وأصحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في نفسه (أحدث ٢٠٤٣)

٣. أحمد في مسنده وانحاز في الأدب ومن جاء في صحيحه والخ كفي في مسنده عن من مسعود

فكيف يتصور بعد ذلك على حدال المسلمين بالعنف والشدة أو الرمي بأشنع الأشياء، وهو الكفر والشرك بالله، كل ذلك لمخالفة في الرأي أو في النظر، وعلى ذلك في عصية وفي علو وفي تعالي؛ وهذا هو الحدال العميم الذي يكون علامة الصلال كما جاء في السنة «أما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الهدى».

لذلك جاءتنا العادات بعلم بقمة الموازين في مسألة سيئات حتى لا تتحول الحدالات من التي هي أحسن أي سوء من الأسوأ، فجاءنا في الصوم مثلاً الأمر بالكف عن الخدان والسب والخصام، إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصحب، فإن ساء أحد أو قاتله فليقل إلى امرؤ صائم^(١) يعني بلامه أن تكون عاتية على الدوافع الخدلية لا أن تتعلب عليها دوافع الحدال، حتى لا يلجئوا إلى الخذل إلا في محله على الوجه الصحيح المرضي لرب سائرهم.

التحذير من الخروج عن أدب الحدال

أكثر ما يدور بين فرق المسلمين خارج عن حد الاعتدال وعن الأدب في الخال، وبعيد عن إدراك أدب الخلاف، هذا يجدكم من متحري تكيل السب، ثم يرمي بالبدعة أو بالكفر أصناف قد يكونون خيراً منه في أدبهم مع الله أو في التزامهم بسنة رسول الله، لكن على غير الوجه الذي عنق في ذهنه، والتصور الذي تصوره من

(١) روى في حديث حسن صحيح، أحمد في مسنده، بن ماجه، حاكم في مستدرق، بن ماجة.

(٢) «التحذير في كتاب الصوم» من هذا الباب، ص ١٨٥، الحديث ١٨٥، مسند في كتاب الصوم.

خلال ما وقع في قبه عبر ذلك الكتاب أو ذلك الشريط أو ذلك الإنسان، وليس في الكتب ولا في الأشرطة ولا في الناس الدس يقابلهم معصوماً ولا مقطوعاً بصحة ما يقول، ولكن مسألة أوسع من ذلك، ويمكنه أن يحس النظر ويأخذ من أقوال أهل القرون الأولى وتابعيهم بإحسان ما يبيّن له الحقيقة في الأمر، ولكن الشرع والتعصّب الذي يطوي فيه الشيطان، حيلة على الإنسان ليوهمه أنه عاضث لله، وهو عاصب لمفهومه الخاص، أو لطرته الفاصدة لا لله تبارك وتعالى، إلى حدّ أن يرى له استحلال عرص الأحرار وربما دمه وماله، كما حصل لقوم قاتلوا من حبرة الأمة أصحاب رسول الله من السابقين الأولين الذين أمرنا بمتابعتهم بقص القرآن ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ والأعرب من ذلك أن استدلووا بآيات نزلت فيمن كان يؤذي هؤلاء السابقين بسب إيمانهم بالله، فأتوا إلى الآيات التي نزلت في الذين ضادّوا وعدّوا فيصرفوها إلى الذين قاتلوا وأودوا من أجل الوحيد والإيمان، فيسوسهم إلى شيء من الكفر أو من الشرك أو من الضلال، حتى استحلوا قتالهم واستحلوا دماءهم وأموالهم والعياذ بالله!!

وكل هذا يبين وحبوب الحذر من خطر الافتتان والتولّع بالخدال والنحكيم للممهاجرين، ويجب أن تكون النظرة سليمة عند أهل الملة فيما يتعلق بالمداهب المتعددة والاتجاهات الموحدة في الدين، وما كان أصله الأصو الثوات في دين

الله تبارك وتعالى فهو متحد، وما يحصل من التحاصم إلا تنح لجهل من الأناس الذين لم يدركوا الأصول ولا المصالح الأصل الذي مضى عنه أئمة مذهبهم

رعاية آداب الاختلاف

إذا علمت ذلك كان الأمر واضحاً في أنه يقوم خلافٌ صحيح لا يوجب اختلاف القلوب ولا برعات تعصب من حلال لطر من المؤهدين للطر في شيء من النصوص لفهموا شيئاً من دلالات النص. فيأتي بذلك اختلاف البطرات لحكمة من الله لسعة الشريعة المظهرة، واختلاف حاجات الناس وأصناف ما يوجب إصلاحهم، كل ذلك يقوم بسببه وحوه في لطر في النصوص لثوات تنفرع عليها المفاهيم كما كان بين الصحن الكرام رضي الله عنهم دور أن يلمز أحد منهم الآخر أو أن يعيب عليه وأن يعتبر أن ما وصل إليه وهو مؤهل للطر باطل أو مخالف للنص مع نظرة الآخر وأحد منهم آخر، والكل راجع إلى نص واحد، ولذلك أمثلة كثيرة في حياتهم وفي حياة من بعدهم من التابعين وتبعي التابعين من الذين أحلصوا وصدقوا مع الله وتحنوا بحله الأدب في الشريعة.

من الواجب المتعلق بمملكة الأعضاء والقلب أن لا يتخذ الاختلاف في الرأي الفرعي سبباً للبعضاء، وأن يفهم أنه من سعة الشريعة بدت مذاهب اهتدى ومذاهب الحق التي ليس لها مرجع إلا الثوات من النصوص الصريحة ومن دلالات النصوص المحتملة من الكتب والسنة وإجماع من مضى من الصحن

والتابعين فمن بعدهم وعلى هذا الأساس تشع الصدور، وعلى اتساع الصدور تنشط الكلمات، وينضبط إرساؤها في كلام كل عن الآخر أو في توجيه كل للآخر، وتجتمع القلوب على الثوابت والأصول التي لا تتغير ولا تتزعزع.

وإذا كان الأمر واسعاً بين كثير من الناس فيجتمع المسلمون وغيرهم لمحاربة أنواع من الفساد يجمعون على وحوط حرها، فكيف بين أهل الملة الواحدة أنفسهم؟ إن أممهم ما يمكن أن يجتمعوا عليه ويبدلوا جهودهم متعاونين لإقامته في شر فصول، وفي البعد عن ردائل، وفي توجيهات لإقامة الأوامر واحتساب السواهي والسيئات على مصالح المجتمع وقضاء حاجة المحتاج إلى غير ذلك من الأمور المجمع عليها، فهي جامعة هذه الأصناف لا يجوز هم أن يهملوها وأن يجعلوا الاختلاف في بعض المسائل الفرعية سبباً للتباعد ولا سبباً لبرول اللسان عن حده في مقابلة الآخر والكلام معه أو الحديث عليه

سأل الحق أن يثبت في قلوب المؤمنين إدراك واحب الأدب معه في رعاية حقوق الآخرين ومعرفة الفصل لدوي الفصل، ووجود احتمال الحسن في المصير لكل من سواهم من أهل الملة، وبكل ذلك تتحلل بحلية أدب ترتفع بها عن برعات الاختلافات ويستقيم بها اللسان في الكلام عن بعض البعض. ثبتنا الله على ما يحب، وجعلنا فيمن يحب ودفع الأسواء عنا.

وصلى الله على المصطفى محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع عشر

تشارك الأعضاء مع القلب في اكتساب الملك الأكبر

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في كل حين وحين، لا اله الا هو معه
 المبدأ وإليه المصير، أرسل إليكم بأمر الله الملك والرسول محمد
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سب على دينه في يوم الدين
 أما بعد فإنه كما تقدم في شأن مملكة القلب والأعضاء أن الملك محلاً واسعاً في
 الكسب، ويقوم عيها الأخذ والعطاء وتعرضاً لذكر نصيبها في الامداد على
 الغير، وأنها تتعرض بذلك لتتخصص يوم القيامة، وأن الله لا يترك نصيبه في
 فوقها، وأن ذلك انصرف ونزول غير الآدمي لأي حيوان من غير حق يكون دين
 على الآدمي يقتصر منه يوم القيامة، إذ كان يمدد بشدة الحق من الشدة القرباء من
 الحيوانات بعضها البعض فكيف بالملك ولو مع حيوان دا اذاه فقد صح في
 الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عُدَّت امرأة في هرة سحنتها حتى
 ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقنتها إذ حسنتها، ولا هي تركتها
 تأكل من حشاش الأرض» فكل ما كان من الإنسان وهو أمام حيوان من
 ضرب لم يأن له به الله يكون محسوباً عليه، ويُحاطب في شأنه، وبما حد منه الحق

(١) (والله اعلم) في كتاب مساهمة (الكتاب) في قصة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته.

تحريراً من غيره، في كتابه، (الكتاب) في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته.

أمام كل ديث يأتي مقدار وثواب الصرب في سبل الله تعالى، وقد تقدم معنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصرب يده رجلاً ولا امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً إلا أن يضرب في سبل الله، إلا أن يجاهد في سبل الله.

ويترتب على هذا الاكتساب العظيم نيل الثبوت الكبير العظيم، لأنه يقوم مقام تحقيق العودية النصحية وبراء العهد الله، وتقديم الروح صمعا في ما عهد الله، على خلاف ما تهوى النفس وتشتهيه، فهذا يؤثر لربه المتقدم روحه في بصرته مهما أحسن وصدقت شئ في ذلك كان ما تكسبه يده سبباً لا اعتلاء درجاته ورفعة مكانته أمام الحق جل جلاله.

توافق استعمال أعضاء المملكة يوم الفرقان

ويأتي في استعمال الأعضاء العين والأذن واللسان واليد والرجل ثم البدن كله هذا الميدان وهذا السبيل، ونرى كيف قام الأمر على وجهه في مثل غزوة بدر الكبرى التي كانت في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية، ودارت رحى المعركة في يوم السابع عشر من رمضان، بررت شمس النبوة بمقدلة الصاد عن الحق والمعدي والمضطهد والطام والطاعي تلك المثل السامية والحرم والصدق والإخلاص والآداب، فاطر إلى تكاتف عمل الأعضاء في مملكة هذا الإنسان، القلب مع اللسان مع السمع مع البصر مع اليد، وما ثم من اكتسابات سببها مع الرجل ثم الجسد كله في تلك السيرة العظيمة وتلك الذكرى الفخيمة..

ذكرى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان الذكرى التي امتلأت بالعب والدروس لكل من ركت هم القوس. الذكرى التي أرت الأمة كيف يكون الصدق كيف يكون الإحلاص.. كيف يكون الأدب كيف يكون أخياء كيف يكون حسن التعامل.. كيف يكون التواضع. كيف يكون خدم وفي المقابل مطاهر العطرسة ومظاهر العدوان والغرور والكبرياء.. ونهاية كل ذلك

فجد أن الدرجات العلى كان من اكتسبها الأيدي لأهل بدر التي تعاوت فيها أعضاء هذه المملكة مع رئيس المملكة وهو القلب، فتوحه الصادقون المحلصون يريدون وحه لله، فكانت تلك لمشاهد العلى ورأس كيف عرص رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر على الناس بعد أن قامت العبر وأحد الحش يقل لمواحتهم، وتكلم أبو بكر فأحسن، وعمر فأحسن، وقال المقداد يا رسول الله والله لا يقول لك كما قالت سو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن يقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقتنون، والله لنقاتلن من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستار وحته، ولكن أعاد الأمر يقول: أشيروا عني أيها الناس، فمظن ها سعد من معاد الصادق المحلص ذي الهمة القعساء، ذي الإيثار لله ورسوله، فطر ها وقال كأنت تعبنا معشر الأنصار يا رسول الله، فقال في كلماته العظيمة الكبيرة واسعة المعنى: يا رسول الله امك،

وصدقناك وأعطيناك على ذلك عهدود وموثيقا، فامض لما أمرك الله، ولقد تحلف عبت أهواؤم ما نحن بأشد محبة لك منهم، ولو علموا أنك تلقى حرباً ما تحلفوا عبت، ولعلك أردت أمراً فأراد الله غيره، فامض هو الله لو سرت بنا حتى نسمع برك العهد من أحشة لبرن معك ما تحلف ما رحل واحد، ولو استعرضت بنا هذا البحر فحصبه حصاه معك، وما نكره أن تلقى عدوؤنا، إن لصُبر في الحرب، صدق عند اللقاء، فاسار وحة رسول الله كنه قطعة قمر فقام. سيروا وأبشروا ما يسركم فإن الله وعدني إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير، والله لكأن أنظر إلى مصارع القوم^١.

طابت الرئاسة فطابت الأعضاء

نالت في هذه العروة عجائب من تلك الاكتسابات هذه المملكة التي طابت رئاستها فطبت المملكة برعيها وأعصائها أجمعين، فكان الدين حضروا العروة خيار أهل الأرض، في تلك الحقبة من الزمن. وقد جاء في الخبر أن سيدنا جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال «من أفضل المسلمين»، أو كلمة نحوه، قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»^٢. فأعلى الله هم القدر لحضورهم مع نبيه صلى الله عليه وسلم، فكانت عجائب تلك العروة بما فيها من معجزات وآيات وإقامة العبودية لرب الأرض والسماء. ومن

(١) رواه ابن إسحاق في معانيه، وله شواهد في الصحيحين وغيرهما

(٢) رواه البخاري كتاب المعاري - باب: شهد الملائكة بدرًا (الحديث ٣٧٧١)

جدة ذلك ما يتعلق باللسان كثرة الدعاء والانتهال وهو مرتبط بالحنان وما كان الدعاء هو العبادة إلا لأنه يجمع القلب على المدعو، وهو الله تبارك وتعالى، وكان الدعاء مؤيداً باعترااف الإنسان وإدعائه واقتداره إلى ربه تبارك وتعالى، فكان مسأله لنصرة الله ورحمته، قال تعالى في ذكر هذه الغزوة: ﴿إِذْ قَسَتْغِيُوثُ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَنْفُسٍ مِّنَ الْمُلَكِئَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فجعل حيثية الإمداد بالبصرة وحوادث تلك الاستعانة الدالة على اكسار اقلوب وحصوعها لربه، فتوجه القوم على الصدق والإخلاص لله حتى وصلوا إلى الساحة، وحدد رسول الله مصارع القوم معجرة من معجراته، وعددت بعد ذلك طول الليل وهو يدعو ويلج على الله بالدعاء، ولذلك من حير ما استعملت فيه الألسن دعاء الرحمن، فينعي الإلحاح على الله، وكثرة اطلب منه، والتصرع والابتهال إليه تبارك وتعالى

أثر استقامة الرئاسة في مملكة كل فرد

إذا علمنا ذلك فإن الأمر موطأ باستقامة الرئاسة في مملكة كل فرد من . فكل فرد منا مملكة تؤديه إلى الملك الدائم العظيم أو إلى الخسران الدائم المهين والعيذ بالله، وصف مجلس الرئاسة - وهو قلبك - عن الكدر الذي يصيبه فينشر إلى جميع الأعضاء، وانظر إلى أحوال هؤلاء الذين صفت قلوبهم لله.. فهذا عمير بن الحنم بعد أن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قوموا إلى حنة عرضها

(١) حدث الدعاء هو انعاده، واه أحد في مسنده وابن أبي شبة وحماد بن زيد في الأدب واللاع [سودود: ١٠٧ مدني،

الناهي، ابن عابجه] وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک عن العبدان بن بشير

السموات والأرض) قال: يا رسول الله احنّ عرّضها السموات والأرض؟ قال (نعم) قل، بح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما يملكك على قولك بخ بخ؟) قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال. (فإبك من أهلها) فأحرق تمرات من قريته، فجعل يأكل منهن. ثم قال لئن أنا حيئت حتى أكل تمراتي هذه إني حياءٌ طويلة، فرمى بها معه من التمر ثم قتل حتى قُتل .

يا أهل الأمان في دار الروال استطال صاحب الصدق مع الكبير المتعال التأخر حتى يُتم أكل التمرات في كفه، مما داق، وما عرف. فاطربوا ما حدث من ذلك القلب لم قال هـ؟ قاله بعد أن سمع نداء الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فكان من الأربعة عشر الذين استشهدوا يوم بدر رضي الله عنهم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَتُنْمُ أَدْلَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

اللهم ارزقنا الشكر، واستعمل الأعضاء في ما يقربنا إليك، وأعدنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأحس اللهم لنا العقبى والوفادة عليك.. برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على المصطفى محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

أما بعد فإنه في حملة ما يجري هذه مصيكة الكبيرة ممسكة فب لإسـ
وأعصائه، شأنٌ مجلٌ في النفس، نعت به الأعصاء صواعية في تحقيقه وذلك هو
المراد . والمراد والمقصد والعية والأمية إذا سميت وارتقت واعتنت وارتفعت
تهيأت هذه الدات للارتقاء والارتفاع والاعتلاء والسمو

آثار التعلُّق بالمقصد الأعظم

و نحن في مثل ما أشرنا إليه في الدرس السابق من الواقعة العظيمة في يوم بدر
الكبرى نستجلي هذه الحقيقة واصحة جلية في ذلك السمو الذي حل في قلوب
القوم في مقاصدهم وأمايهم، وبأحد مه كيف يجب أن نسمو بأديب ومرادنا

في أنفسنا وأهليها وأسرن، وشاهد أين صعدت الأمهات والمقاصد منا . إن الدين عرفوا المقصد الأعظم لم يربصوا أن ينحط مقصدهم لما هو دونه فتعلقوا بالمقصد الأسفى، فسموا لذلك رضى الله عنهم وأرضاهم.

وبعد معاني فيها قال المقداد، وفيما قال سعد بن معاذ رضى الله عنه، وفيما قال عمر بن الخطاب سعد المعاني واصلة إلى قلوب الشئمة المستدين، منهم الدين هم في أول الشب نحو الخامسة عشر من لعمر، فبعد أمثال العلامين الصغيرين في السن، الكبيرين في سمو المقصد وعلو الأمية، يكونان بجانب عبد الرحمن بن عوف، وهما معاد ومعود ابن عمراء، بقول عبد الرحمن، لما اصطفوا للقتال في الخيش نظرت فإذا عن يميني غلام صغير، وعن يساري غلام صغير، فكأنى لم امر بمكاهما، فم شعرت إلا من على يميني يساري ويساري: يا عم هل تعرف أن جهل؟ قلت. نعم، قال سألتك أن تريبي إياه إذا بدا لك في المعركة، قلت: وما حاحك إليه يا ابن أخي؟ قال لقد بدعي أنه كان يؤذي رسول الله، والذي نفسي بيده لئن رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فمحت من إيمانه وقوة عريته وإذا بالثاني يدعو وسألي نفس السؤال، وأحسني نفس الخوات فما أحب أن مكاهما رجلين حليدين صخمين فانظر إلى سمو المقصد، ليس بيها وبين أبي جهل مصلحة دنيوية ولا غرض من الأعراس القانية قط، ولكنه محبة الله ورسوله، العبودية لله، إنقاذ الإنسانية من المحترئين بأنواع الشرور والمعاداة التي لا مبرر لها للخير الواضح والحجة القاطعة والنور الساطع،

والتأليب على ذلك، واستشهد الواسع في مصدّة الحقّ وأفدى، حيث كان أبو جهل من أئمة الكفر الذين قاتلوا وبدأوا بالقتال وأحرقوا رسول الله ﷺ واستطاع صرّهم وشّرهم في الأرض.

وفي أثناء المعركة بدأ أبو جهل ففاد من عوف هذا صاحكهم، ونقضا عليه، قار فما شتتههم إلا بصقربن يجرّون على نمرسة، فصرّبه حتى شجّبه، وانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرانه بإراحة صاعوب من الطواغيت الصّاذة عن سبيل الحق، فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما، فقتله، فقال هل مسحتم سيفيكما؟ قال لا، فطر في السيفين، فقال كلاكما قتله

فانظر إلى هذه الأئمة عند هذين العلامين وهم في مقتبل العمر " كيف سرّب إلى هؤلاءهم تلك الأهمية وتلك العزيمة من تار انوار السوء وما سرّي في المجتمع من التربية بالمهيج، الإلهي الذي يجب أن يزدى أثره في معشر الذين ما وصدق وشهدنا أن ما جاء به محمد رسول الله هو الحق. وفي يده أمان أساء الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر من أرجالاً أو نساء!!؟

وفي تلك المعركة من أساء السابعة عشر أو الثامنة عشر من العمر شهيداً عظيم القدر هو سيدنا حارثة رضي الله عنه، ذلك الوحيد لأمه الذي لم يكن لأمه ابن

(١) رواه البخاري في كتاب حمى باب من بحسب لأسلاف، ومن من لأمه منه من عمره خمس حديث

(٢٩٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير - باب استحقاق القاتل سلب القتل (الحديث ١٧٥٢)

غيره فكان ذلك الأمر في شأن هذا الشاب الصالح يبيّن لنا الأهمية السامية العالية التي تحملها قلوب أهل الصفاء والطهارة والفاء والرفعة. وذلك أنه سأل رسول الله أن يطلب الله له الشهادة فقال اللهم ارق حارثه الشهادة في سبيلك.

حضر عروة بدر فكان أحد الأربعة عشر الذين استشهدوا. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة جاءت أم حارثة فقالت يا رسول الله عدمت مرلة أبي حارثة مبي وأنه ليس لي ولد غيره، فأين أبي حارثة؟ قال أحسنه عند الله، فتل في سبيل الله، قالت أحسنه أين أبي؟ قال أقول لك قتل في سبيل الله، فأحسنه عند الله، قالت أقول بك أين أبي فإن كان في الجنة صرت، وإن كان غير ذلك فستري ما أصعب؟ قل ويحك يا أم حارثة إنها ليست بجنة واحدة إنما جنات كثيرة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى.

الشاب الطموح الذي كانت عاينه قرب الله فخاره، ورضوان الله فآله، والعيم المقيم الخالد الدائم فمده. كان أحد أولئك الدريين المحلصين الصادقين الذين كانوا حيار الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم وأرضاهم

وامسلت المعركة بالعجائب الميئة للمقاصد التي يجب أن تتحقق في قلوب المسلمين، وبذلك يعتلون عن الإشكالات وإحداث المشكل التي تصدع استقرار الأمة والتي تذيب الأمة أصافاً من الأتعاب ومرارة من الهوان والدلة، عند تحكّم

الأطعم وإرادة فاني المتاع، وسيان الرحى، فتتحكم الإرادات بحدرة العايات حتى يحصل العي والضلال معطى أحياناً على صاحبه بصورة أنه دس أو هدى

الصدق مع الله يهذب أمنيات المؤمن

إن الصدق مع الله تبارك وتعالى مكن في القلب حروح أمسات لغاسات ومظهر الحياة شاهد قوله ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) فلما لم يريدوا العلو في الأرض ولا الفساد فيها كان لهم العلو في السماء والأرض، واللب والاحرة، وكان هم الصلاح، وكان هم الفور، وكان هم اسحاح، أعلى الله مرتبتهم بصدقهم وإخلاصهم للحق تبارك وتعالى.

قال سيدنا سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى الناس يوم بدر: يا رسول الله ألا سي لك عريشاً تكون فيه وسج يبيت ركائلك، ويلقى عدونا؟ فإن أطعنا الله عليهم وأعرنا فداك ما نحب، وإن نكر الأحرى فتحسن على ركائلك وتلحق بمن وراء من قوم، فقد والله نخف عت أقوام ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو علموا أنك تلقى حرباً ما حلموا عت ويوارروك ويصروك، فأثنى عليه رسول الله حبراً، ودعى له، فسئ له عريش فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الحارس أبو بكر الصديق رضى الله عنه،

(١) رواه ابن إسحاق في مغاريه.

وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه وانتهله وسجوده. وفي الصباح وبعد أن صفت الناس للقتال، وبعد أن بدأت المدررة ثلاثة مع ثلاثة، وفيهم برل قول الله تعالى ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ أَحْتَضِمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ . فلم يحتصموا على مع ولا على شيء من هذه الدب، بل احتصموا في ربهم. وفي الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» . وفي ذلك قول سيدنا علي بن أبي طالب: أن أول من يُحتر لخصومة بين يدي الله . لأنهم هم الذين برلت فيهم هذه الآية ﴿ هَذَانِ حَصْمَانِ أَحْتَضِمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ . فيسألان عن ذلك القتال ولم كان القتال؟ وبذلك تعين أن الله سائل كل معن لم قتل؟ وكل محاهد ما كان سبب اسعائه في الجهاد؟ ومن هنا تعلم معنى الحديث: «رب قتل بين الصفين الله أعلم بنيت»^(١) «ومن غزا وهو ينوي عقلاً فله ما نوى» . ليس له غير ذلك العقول من ثواب العرو كله.

إذن فلابد من السمو بالمقصد، وقد بين صلى الله عليه وسلم ذلك حين سُئل يا رسول الله الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل حية، والرجل يُقاتل ليرى مكنه، أيهم في سبيل الله؟ قال «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل

(١) رواه بخاري في كتاب الأدب (الحديث ٦٤٧١)، ومسلم في كتاب القامة وخرين وانقصم وديت باب

المجاعة بالدماء في الآخرة، وأما أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة (الحديث ١٦٧٨)

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح - رب في قوله تعالى (هذان حصمان احتصموا في ربهم) (حديث ٣٠٣٣)

(٣) رواه أحمد عن ابن مسعود

(٤) رواه أحمد في مسنده والنائي والحاكم في المستدرک عن عبادة بن الصامت

الله)) الذي تراه، الذي يحرد، الذي سبى عن الأرض والبريات والشهوات وإرادة العلو في الأرض، الذي يريد وجه الله تبارك وتعالى، فهو في سبيل الله

وفي ذلك يرى كيف بصر الله أولئك لأقل عدد، غدة في عود، كم شارب إلى ذلك في قوله * ولقد بصركم الله بذروا سنة أدلة فتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن يمددكم ربكم بثلاثة ألف من الملائكة مثلين * إلى أن تضروا وتثقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ألف من الملائكة مسؤمين * وما جعله الله إلا ليشري لكم ولتطمئن قلوبكم به * وما يضرب إلا من عبد الله الغرير الحكيم * وفي معنى * إن يبصركم الله فلا غالب لكم وإن اتخذ لكم قسدا لذي يبصركم من بعده * .

ثم يرى أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن سبى معركة بدر مشركو، وقد قتل منهم سبعون، وأسر سبعون، أمر بقتل المشركين فوضعوا في ثياب وهم يتركهم للهوام ولا للظبور ولا للنسج فلا بد من تنعيم ذلك السم من هيمه بدفن حث المشركين المقتولين المصدقين هذا هو خلق الإسلام، وحب الإسلام، وسمو المقصد والمكانة.

(١) رواه ابنه، أي في كتابه الجديد باب (١) بعد نصف كتابه من حديث (١٧٠٢٠) ومعه في ٥ باب

الإمارة، باب: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) (الحديث، ١٩٠٤)

ثم وقف عليهم في القلب يقول: ^(١) يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً»، قال سيدنا عمر ما تحاطب من أحسد لا أرواح فيها" قال «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» .

رجعوا بالأسرى فأوصى بهم رسول الله خيراً فكانوا يثرونهم بأطيب الطعم، ما أحل حان الصحة الكرام وما أعرفهم بأداء الحقوق ومعاني الإنسانية وهم السامعون بالمقصد.. اللهم برنا في سبلهم، واجمعنا بهم في دار الكرامة وأنت راضٍ عنا، ولا تخلّنا عنهم يوم القيامة يا رحمن.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن سار في طريقه.

والحمد لله رب العالمين.

(١) روى البخاري في كتاب المغاري - باب قتل أبي جهل (المحدث: ٣٧٥٧). ومسلم في أحسن وصفه بغيره وأمهه

باب: عرض مقعد البيت من الجنة أو النار عليه (المحدث: ٢٨٧٥)

الدرس التاسع عشر:

الإحساس والشعور مع المواقيت والذكريات

الحمد لله الملك الأكرم، وصلى الله وسلم على عبده المصطفى محمد ذي المحدث
الأفخم، وعلى آله وصحبه ومن سار على سبيله على القدم الأقوم

أما بعد فإن من جملة ما يحدث في عالم مملكة الإنسان (قلبه وعصاؤه) شؤون
الإحساس بالتوقيت والمواقيت والأرمنية والذكريات، وذلك شأن تتفاعل فيه مع
القلب الأعضاء، فيبدو ويبدو ما يبدو ويبدو من ذلك تتفاعل المعتر، وفي ذلك
أيضا تثبيت لقاعدة السر إلى الحق، ومواصلة لتفقيه الإنسان عما يدور به من
المعانيب والشوائب، فهو يستقبل الأشهر الفاصلة شعور وإحساس تناسق معها،
فمن الغفلة الكبيرة أن في المسلمين أفراداً وأسرأ تدخل عليهم الأشهر وتخرج لا
يستشعرون شيئاً مما رتب الحق على الأوقات والمواقيت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ
قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ . . .

الأشهر وما لها من خصوصيات ومزايا

جعل الله سبحانه تعالى أربعة أشهر حُرُم من بين الأشهر، وقد جعل تعالى
شهرأ من بين الاثني عشر شهراً سَوْدَه على الأشهر وهو رمضان، وربطها في مسألة
رمضان بشؤون، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥) وجعل في رمضان غزوة بدر

وعروة فتح مكة، وحل في رمضان فربصه الصوم وسنة القيام، وحل في رمضان عفاً من اليراس في كل ليلة وفي كل يوم، يكثّر عند غروب الشمس وعند صول الشمس، والله في كل ليلة من بياني ذلك الشهر سمينة أحب عبق من البار، وإذا كان آخر الشهر أعق مثل ما أعق من أول الشهر إلى آخره

كل تلك المعاني جاءت مديعة بعث الشعور وتقويمه عند الإنسان حتى في الشهر الكريم، فحل للعشر الأواخر ما ليس لغيرها، وأني عاباً ما تكون ليلة القدر فيها، فيبعث شعوراً حديداً واستعداداً حسناً، فقد كان ربنا صلى الله عليه وسلم إذا دخلت لعشر الأواخر من رمضان شدّ منزره ونحيى نبيه وأيقظ أهله، فيحصيها بمزيد من العبادة والطاعات.

وبدأ أقصى الشهر بها فيه من الصفات والعصا استقبلنا عيد الفطر، وفي عيد الفطر أيضاً تعبّر عن الشكر لله تعالى * وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * ، يستقبل شوال ويصادف فيه صوم ست من شوال حتى لا ينقطع عن العبادة، حرجاً من عبادة وإذا بالعبادة أمام، وفي

(١) أخرجه البيهقي في الشعب والأصبهاني في الترمذي من الحسن.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، تراويح باب يعمل في عشر الأواخر من رمضان حديث ١٩٢٠، ومسلم في

الاكتاف - باب الاحتفال في العشر الأواخر من شهر رمضان (الحديث: ١١٧٤)

صحيح مسلم يقول صلى الله عليه وسلم «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(١).

ثم بعد ذلك نقابلنا شهر حرام وهو شهر ذو القعدة، بعده تأتي شهر ذي الحجة، ومع كونه شهر حرام فهو الشهر الذي يقع فيه موسم حج العظم ويتنهي العدم، ويستقبل عدا حديد، وفيه ذكرى لحره نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تأتي ذكرى ولادته وبروره بنى الكون في ربيع الأول، ويأتى بعد ذلك شهر رحب الشهر الفرد من بنى لأشهر حرم، وإذا تذكرى الاسم والمفراج وكم من ذكرى في بنى ذلك لعروات وسراى حصلت، ويأتى بعد ذلك شهر شعبان وفيه ليلة النصف وما ورد عنها من الأحاديث السعدية لبركات الكثيرة. ويأتينا بعد ذلك شهر رمضان.

وإذا نطاول العدم في تحديد المشاعر واستدلالات حسنة، وقد وجد صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة يصومون يوم عاشوراء ساءهم في تصومون هذا اليوم؟ قالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له قال «نحن أولى بموسى منكم»، فصامه وأمر الناس بصيامه فكان التعامل مع المواقب ومع الذكريات ومع خصوصيات الأوقات، وله حكمة في

(١) روي في كتاب الصيام باب سجدات صامته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (حديث ١١٤٤)

(٢) روي أبو داود في كتاب الصيام - باب في صوم يوم عاشوراء (الحديث ٢٤٤٤)

استدامة معاني الإقنان وتحديد سواعث الوحشة فمن موت القلب أن يدخل
رمضان ويخرج، ويأتي شهر حرام ويخرج، ويأتي موسم الحج ويخرج، وتمر بالناس
ذكرى يوم عاشوراء أو غيرها ثم لا يحمل المؤمن فيها شعوراً وإحساساً بحمله على
مواصلة الثقة لصميره والتطهير لشره، وعلى مواصلة النظر في أمره واستصلاح
مساره وتقويمه إلى الحق تبارك وتعالى وبذلك تعلم أنه كم أحدث العجلة قلوباً
وعقولاً ممّا معشر أهل المنة، فصعب التعديل ولتعامل والإحساس والشعور
بالأيام المباركات وبما يحدث فيها.

النبي واهتمامه بالمواقيت

وقد صرب سيّنا محمد صلى الله عليه وسلم أروع الأمثال في هذا التعديل
الحسن، وفي إعطاء المواقيت حقها، وفي إبراز معاني التحديد للعهود والإنعاثات
والتوجهات، وكل ذلك قريب على الإنسان مهياً أحسن وصدق، مهما لم يعترض
مسيره الأعراض الدبيّة والإرادات الساقطة، فيه عرصة لأن يكشف لقلبه سرُّ
حسن التعديل مع المواقيت والخصائص التي جعلها الله في الأيام والليالي

ومن هنا نجد تعادل النبي صلى الله عليه وسلم في كل أسوع مع الاثنين
والخميس، إنهما يومان تُعرض فيهما الأعمال على الله فأحب أن يُعرض عملي وأنا
صائم، وكان صلى الله عليه وسلم يُكثر الصيام في شهر شعبان، وذكر عرض

(١) إشارة إلى حديث (تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يُعرض عملي وأن صائم) رواه الترمذي ولباسي

الأعمال على الله فيه، وذكر أنه شهرٌ يعمل عنه الناس، ثم يقول لنا في حديثه الشريف: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» ثم يدلنا على صيام الأيام البيض كذكريات شهرية في ليالي تكون قمرية، القمر فيها من المغرب إلى الفجر تفاعلاً مع الآيات الكونية، اتصالاً بالكون حل حلاله، وهذا سمو في الغاية وسل في المقصد، وهذا أيضاً سابق وتأسف حسن مع السنة الكونية، سنة المكون في الكائنات.

لأحل كل ذلك رأياً إشرية في كلام سيدنا عيسى بن مريم عندما طلب منه أن يسأل الله إنزال مائدة من السماء، وهو أمرٌ حارقٌ للعدة، فم رأى إحاحهم* قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا* ما هو العيد لأوهم وآخرهم؟ إنها ترون يوم واحد، بلقوم اخاصرين ويأكلون منها مرة واحدة وانتهى، لكنه قل تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، أي تبقى الذكرى هذا الحدث الحارق للعدة، هذا الاتصال بالكون، لبرول المائدة من السماء* قال الله يي مبرلها عليكم فمن يكفر بعد مسكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين* . لأن الحجة قد قامت وقد عاملناكم بإظهار خوارق للعداات وحصوصيات ومرايا.

فعني قول سيدنا عيسى * تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاجِرِنَا * إشارة واصحة إلى مسألة لتفاعل مع الذكريات والأحداث التي نظراً على الدس خلال السنوات والأيام والليالي، فيبقى المتأخرون ذاكين ما حصل للأولين وهذا هو ما بيّته الله بقوله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم، ليوم عاشوراء فصامه وأمر الناس بصيامه.

التفاعل مع الأحداث والذكريات

نعلم من كل ذلك أن ذكريات المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وهو سيد الأنبياء والمرسلين أحقُّ بالاعتناء وأحقُّ بالذكر، وأحقُّ أن تتفاعل بها قلوبُ الدّين أمموانه، ويرى هذا التفاعل سارياً في قلوب أصحابه الأكرمين رضي الله عنهم..

ويجد العباس بن عبد المطلب يقول الشعر في مدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويحمل من الذكريات ذكرى مولده الشريف، حيث قال: إني أريد أن أمدحك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هات لا يفضض الله هات، فأشأ العباس يقول:

وأنت لما وُلدتَ أشرقَتِ الأرض وصاءت سورك الأفتقُ
فحرق في ذلك الصياء وذلك النور سفل الرشاد نحرَقُ

ربط النور الذي هم فيه من الهداية والرسالة بالنور الذي مرر في وقت ميلاده صلى الله عليه وسلم.

فلابد أن تقوم الحياة القلبية في المؤمن بالتفاعل مع الأحداث والذكريات، فإنها تثمر هم معاني وأدواقاً وترشح فهم إدراكات، وتجعل هم إشراقاً في القلوب تؤدي إلى ساهة ويقظة في الصميم، وسوير في الفكر، ويتم التفاعل بواسطة مع أدب الشريعة، ومع تقوم العمل، وتعديل الدن من القوب واعمل والحال.

كما تأتي الانفعالات والتفاعلات من الأعضاء في هذه الذكريات بالعدل والعطاء والتصحية، وتقوم الأعضاء بوظائفها الصحيحة، بوظائفها التي يترتب على القيام بها سعادة الإنسان، فتطلق الأيدي بالعدل والعطاء، والألسن بالذكر الجميل الحسن، والحمد والذكر والشكر لله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وبشاشة الوجه، ولين القول، والبطر بعين لعطف ورحمة وغيرها مما يحصل من أثر هذه الذكريات والاحتجاج على معيها الساميات.

فوجود هذا التفاعل في الشعور والإحساس يقوم أساس التعامل مع المباح الإلهية، ولذلك لم يجد استعناء عنها حتى عند أهل المباح الأرضية، فهم مصادقهم يقيمون ذكريات يتفاعلون بها مع مرور الأحداث، فيضطرون إلى أن يشطوا أنفسهم ويعثوا معاني الذكرى ويوحدوا في الواقع إحساساً وشعوراً بمصادقهم.

ومقاصدهم عبر تلك الدكرات في الأيام والليالي، تمت فطرة الله للناس، وكذلك
 جاءت في الشريعة العراء هذه المعاني، وما نُصِّفُ قصص الأنبياء، وقول الحق عز
 وجل: ﴿لَقَدْ كُتِبَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ . . . ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ . . . إلا هذه المعاني

فسأل الله أن يحیی في قلوب حسن التعامل مع التوقيت والمواقف والحادثات
 والكائنات، لتكون لها على صلة بالكون حل جلاله يقوى بها إيمان وقياس
 وبالله التوفيق.

وصلی الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس العشرون:**وجه بديع في الاستماع**

الحمد لله واسع الإفصال حريص الدال، وصلى الله وسنمه على عبده الهادي
الذال، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صاحب وخير ال

أما بعد فإن المؤمن في وجهته إلى الرحمن حلّ حلاله، يسقى من معين السمع
ما يتسع له فيه المحل لتعمق في ذلك المعنى، ويسبي على ذلك ماس، وذلك من
خواص السمع، المربوط بالقلب والعقل، ويسمع على هذا الوجه يحدث عند
الإنسان افتتاحاً لأبواب من الفهم والمعرفة والإدراك، تسع فيها الناس في
الاستبصار والعتور على الخلق، وفي تنوير القلوب وبركة عقولهم، استقوس

حال الأمة مع تأمل آيات القرآن

يعجز الناس كثيراً عن التأمل والتدبر خصوصاً في الآيات القرآنية،
ويقصرون في ذلك فمن ين تأمل يأخذها اللفظ وإحسانه كل مأخذ ويعمل عن
المعنى من أصله فلا تجد في القلب خشوعاً، ولا في الباطن تأملاً وذكراً، أساه

ومن بين مضيق حتى لفظ، يهدر في قراءته ويهدد بلا تدبر ولا تأمل أبداً
ومن بين مهمّل حتى لقراءه الهذر، فلا يفتح الكتاب العزيز ولا يتأمل معانيه
أصلاً، وفي مثله جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ١

ومن بين واقف على أوائل معانيه وأطرافها، ممسكٌ عن العوص في ذلك

البحر الفيّاض.. يقول الإمام عبد الله الحداد:

وواطى على درس القرآن في	تلاوته الإكسر والشرح للصدر
ألا إيه البحر المحيط وغيره	من الكتب أهدر ثمّ دس البحر
تدثر معانيه ورتله حاشعاً	تفوز من الأسرار بالكثرة والدر
وكس راهباً عند الوعيد وراع	إداما تلوت الوعد في عيه البشر

هذا التقصير في خمس الاستيعاب أدى إلى افتقار الكثير من معاني الیقین في واقع الأمة، كيف وفي كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وفي كلام الحكماء ما تمكن أن يستفي منه الإنسان معاني تسع له على بوابي السنوات، ويتعمق فيها وترسخ فيه، فكيف ينفس كلام الحق حلّ حلاله وتعالى في علاه

بلاحظ من هذا أنه حصل ضعف في بمنكة القلب والأعضاء بانقطاع الاستماع على هذا الوجه، وقد تقدم معني الكلام عن السمع قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾^١ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ . . . وفي بعض الآيات ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَفْقَهُوا سَمْعُ الْقُلُوبِ﴾^٢ . . . وقال تعالى ﴿وَنُطِيعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوا﴾^٣ . . . فجعل السمع موطأ بالقلب، وعدمه موطأ بالطبع على القلب، فلا يسمع السمع المحرّد الظاهري مع فقدان هذه الحقيقة، ومن هنا يعلم أن من الواجب المهم علينا في حياتنا كثرة السَّمَل، ومناعة المعنى والتدقيق فيه، وترديد الطر وتكريره، حتى نهتدي من تلك الكور على ما له نحوز به نفوز،

وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ . و قد تعالى
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ أم على قلوب أقفالها ﴿ فتبين أن كل معرض عن
التدبر للقرآن في قلبه قفل، ومقفّل القلب قد لا يحش نفسه ولا يتعظ ولا يذكر.

إن المواعظ لا تعي أسير هوى	مقفّل القلب في حيد عن الشئ
منكراً بطر الحق الصريح اد	يبقى إليه لمرط الجهل والشئ
يكفي اللبيب كتاب الله موعظة	كي تفي في حديث السيد الحسن

ثمار حسن الاستماع

الاستماع على هذا الوجه أدب من الآداب، مع ربّ الأرباب، وهب السمع،
يتسع عند من اتسع عنده الهم والهمة والعزيمة والإدراك إلى ما يجري من الكلام
العادي بينه وبين الناس، قال صلى الله عليه وسلم (الحكمة ضالة المؤمن، حيث
وجدتها فهو أحقُّ بها) ، ومن هنا فتحوا أذانهم واستفادوا حتى من كلام قد
يصدر على لسان متدب أو عاقل أو جاهل، ولكن ستفيد منه العاقل وهذه
المملكة كثير من كنورها تصبغ إذا عطيت إقامة الاستماع على هذا الوجه البدع

وقد ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان حسن الاستماع إلى ما يُقال، وكان
إذا تكلم استطاع العاقل أن يعدّ كلمته ، وقد يُعبد اخملة ثلاث لفهم، وليعي

(١) روى الترمذي في المعجم - باب في فصل يحق على عباده / حديث ٢٨٢٨ - من مائة في كتاب برهانه

الحكمة (الحدِيث ٤١٦٩)

(٢) روى البخاري عن سيده عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديث بر عبده العاقل لأخصه

السامع ما يقول ، وقد ورد أن مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة، يُوقر فيه الكبير ويُرحم فيه الصغير ويؤنس فيه الحرم، ولا يُذكر أحدٌ فيه سوء، وكان على رؤوسهم الطير في مجلسه، وإذا سكت تكلموا، ولا يتدعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ^(١).

ولما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن، قال: «أقرأ عليك وعليك أزل؟» قال: «إني أحب أن أسمع من غيري»^(٢)، وكنت تُعجبه قراءة ابن مسعود وقال لأبي موسى الأشعري لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزاميرا من مزامير آل داود ، قال يا رسول الله أما لو علمتُ بمكانك لحبته لك تحييراً ، أي لبالغتُ في إحسانه طلباً لرضوانك الذي فيه رضوان ربي.

فتبين بذلك أن لإقامة السمع على وجهه أثرٌ طيب، وأن التصاميم وعدم إعطاء الكلام حقه يفقد الناس كثير من الفوائد والكتور، فلا يعثرون عليها. وأحقُّ ما

(١) روى به مدي في سننه عن ابن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الكلمة ثلاثاً يُسمع منه

(٢) من حديث طبري روى به طبري عن أبيه أنه يصفه أنه سمع من أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه وسم

(٣) روى البخاري في كتاب فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع به من غيره (الحديث: ٤٧٦٢)، ومسلم في كتاب

صلاة المسافرين باب فضل السمع به روى به مسلم بن الحجاج بن أبي هريرة، والبيهقي عند قراءة (الحديث: ٢٤٧)

(٤) روى البخاري في كتاب فضائل القرآن باب حسن الصلوة به روى به طبري (الحديث: ٤٧٦١)، ومسلم في صلاة

المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن (الحديث: ٧٩٣) واللفظ لمسلم

(٥) هذه الزيادة رواها الحاكم في المستدرک والطبراني في الكبير وأبو يعلى

كان بحس الإصغاء والإبصار والاستماع والشئ كلام مكوّن لكانت ورب
الأرض والسموات، ومن هنا ارتبط الرحمة بحس الاستماع إلى القرآن، قال
تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . وفي
كل هذا تأتي إلى إقامه هذه الوظيفة التي أهميت في كثير من حياه المسلمين

صون السمع عن الكلام القبيح

يجب صون السمع عن الكلام القبيح لأنه يعمل في غلب عملا وذلك
سرعة الإغراض عما لا يليق، بل ومن لمسلك الحسن في منهجية الاستماع
يُستنكر وما لا يكون مفيداً لا يُمكنه سماعه من أن يخل في فيه ، فيكون بعد
لحظات كأنه لم يسمعه، وتلك منهجية رقيقة يندى عرفو انصرف نحوه هذه
السمة، فتحدثهم يستمعون كلاما كثير ، وحاشم كي قال الله ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا لِلْعَو
أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ عُيُنُكُمْ فَلَا تَتَّبِعِ الْآهِينَ ﴾ .
فكانهم لم يسمعوا أصلا فلا يؤثر في قلوبهم، بل إذا مرّوا بذلك في مكان فيها من
الأقوال الشاذة أو الكلام الخارج عن سبل الصواب، لا يمكنونه أن يستفروا في
قلوبهم أصلا، فكانهم لم يرووه، ومن هنا تعلم أنه لا تصح مشيحه الكتب

الكتب تذكرة لمن هو عالم وصوابها مخفيا معجون
والعكر غواص عليها مخرج والحق فيها حوهر مكوّن

واتشر بين العامة قلوبهم. من كان شيخه كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه وهذا
الواقع الذي صرّ الناس. وتطوّرت الأشياء الآن، فصارت أيضاً مشيحه

للأشرطة، ولأنواع السي دي، وللانترنت ولعصر الشاشات" فيسعي أن يقرن المشيخة بالاتصال بالسند، ورحوع في الأصول إلى حُسْنِ الأصل على يد أهل اللبّ الفحول، فلا يستعني عن الاتصاف بالعلماء على هذا الوجه، على أن كثيراً من هذه الوسائل ستُحسّنُ للوصول إلى فوائد كثيرة، وإلى معارف وإلى علوم، ولكن مع ذلك لا يسعي الاقتصار عليها، بل لا بد من الصفة بشيوع والتباحث معهم والمساءلة هم ﴿ فَتَعْلَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ . ولذلك قالوا: إن حفظ سطرين خير من قرءه كتابين، ومداكره بين شئ خير من هدين.

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة يكن من الربيع والتصحيح في حرم
ومن يكن احداً للعلم من كتب فعلمه عند أهل العلم كعدم

وفي ذلك ينبّه القائل على هذه الحقيقة بقوله:

ليس في الكتب والدفاتر علمٌ بل العلم في صدور الرجال
كل من يطلب العلوم وحيداً دون شيخ فإنه في ضلال
وقد جاء في مقدمة صحيح مسلم عن ابن المبارك قوله الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقر من شاء ما شاء وقول ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. سأل الله الثبات والتوفيق والاستقامة

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس الحادي والعشرون:

ارتباط الأقوال بالحال والوجهة والمال

الحمد لله الملك الكريم الخواد، أرسل إسماعيل المصطفى خير العباد، ماهدي
والحق والرشاد والسداد، صلى الله وسلم وبرك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار
في سبيله إلى يوم التناد.

أما بعد: فإن من حملة ما يحصل للإنسان في علمه توسع لدى من أحله
كُنُوت السماوات والأرض ليحور عن عظمى ربه، قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [سورة النمل: ٢٥] يتعلق بشأنه في مملكته الواسعة
محال واسع نحو عصب اللسان واحتير ما يقوله

عظمة ما يترتب على القول من الثواب والعقاب

نتحدث الآن عن عظمة ما يترتب على القول حتى يوحى العقاب أو الثواب،
فبعد الحق تبارك وتعالى قد ربط بعض الخيرات العظيمة والثواب الكبير على
أقوال.. قال تعالى ﴿ فَأَثْبُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة النمل: ٤٦] فَأَثْبُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا ﴿ رتب
على هذا القول المثوبة الكبرى ودخول الجنان، لارتباط القول بالحب وحقائق

الإيمان وحال هذا الإنسان فلاحترار القول بحسن وإيراده على اللسان شأن متعلق بالقلب وحقيقة وجهته، ويترتب عليه هذا الأمر الكبير في مصيره وعاقبته

ولذلك وحده الأوصاف من الحق تبارك وتعالى للعباد الذين رفع قدرهم وأحترمهم، منها ما يتعلق بالقول. ويحدد أن هبة الإنسان إلى الاستقرار إما في الحق أو في الباطل، وتحصل محاوره بين أهل الباطل وبين أهل الحق، ومحاوره بين أهل الباطل وبين الخالق حل حلاله، فذكر من حيثيات دحوقهم إلى الباطل استهزائهم بقول، وإن أهل الحق بذلك القول خروا لحرأ العظيم. قال تعالى ﴿ قَالُوا رَبَّنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ قال آخِسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَفْعَفْنَا لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ وحذر سبحانه وتعالى بمودج من القول الطيب الذي كان يقوله أهل الحق كماوا كثيري الوحه إلى الله هذا الدعاء ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَفْعَفْنَا لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ تأكيداً لإيائهم واستعطافاً للرحمن أن يغفر لهم ويرحمهم.

وهذا شأن أكثر الدعوات التي يشتغل بها الصالحون على مدى القرون، فتتصم توجهاً لهم وأقواهم طلب الرحمة والمغفرة، وتقوية الإيمان وتشيته، في صمم معسى ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَفْعَفْنَا لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ قال تعالى ﴿ فَأَخَذْتُمُوهُمْ بِسُحُورِهِمْ حَتَّىٰ نَسُواكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحِكُونَ ﴾ هذا القول لم

يكن يثير فيكم تدكراً لمصيركم، ولا تطرا في حناكم وما قيلتم به وحبب ومهاجدا
فدرا أن يعث فيكم هذه المعدي الشريفة كم ستتهربون ستجده منكم لأهواء
نفوسكم، فكان هذا القول لا يتناسب مع ما أنصحه به لأنفسكم من عي
وضلال وحري وراء دواعي النفس الأمارة بالسوء، في كتاب مكة السحرية من
هذا القول إلا نتيحة لما وقر في قلوبكم من بيت المعدي نفسه

تفاعل الإنسان مع الأقوال بحسب حاله

حال الناس في هذا لوجود بين ممكة القلب ولا عصاء من لأقوال ما
يملت الأنظار لفتاً حسناً، ويُعجب لاسد فيتفاعل معه بتعلاصه، ومن
الأقوال ما يفر منه الإنسان و يستهين به وذلك مقيدس يُعلم به حوال همل
الجنة وأهل النار.. وأحوال المؤمنين والكافرين.

فالأقوال الطسة وأعظمها كلام الله، والتدكر لله، ثم سبح والادعية والصلاة
على المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ودكر حار لأساء والصحة
والتابعين والصالحين.. كل ذلك مما يتناسب مع ما يحل في قلب المؤمن من عصمه
الله وعظمة المصير إليه، فيصادف من أصحابة رقة وانتعاش هممة وعزيمة صالحه
ووجهة إلى الحق، وريادة في الإيمان وطمينة في القلب ومن هه كان يقول أخيه
بن محمد إن حكايات الصالحين حمد الله برسها على لقوب وهذا أصعب تقرير
القصص الكثيرة في الكتاب العرير حتى سقى الله سورة من سور القرآن سورة

القصص، وذكر حيثيات في الانتفاع بالقصص في قوله « وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقوله « لقد كانت في قصصهم عبرة لأولي الألباب » فيكون هذا الاسعاث للشعور احسن مناسبة مع الكلام الصب عند قس المؤمنين، للمناسبة بين ما استقر في قلبه وبين ما سمع

ولكن يد ذكر الله تبارك وتعالى وحدث قلوب الدين لا يؤمنون بالله رسماً اشتملت أو ضرب، قال تعالى « وإذا ذكر الله أخذوا أشمات فتوت الدين لا يؤمنون بالآخرة » وكذلك إذا ذكرت أحبار الرسل أو أحبار الصالحين، أو حصل لدعاء فيوحد شيء من القور عندهم كذبت في ما يعرض من الأفلام وغيرها في نشأت وفي غيرها، كذلك مما يتناول من الحديث بين الناس من قصص أو أحبار كل ذلك به ساعى وحه التحاسين بين ما في باطن الإنسان وبين ما سمع ولذلك كانت بقرة المؤمنين الصادقين من القول السيئ ومن الكلام الديء وتاعدتهم عنه، لأنهم على الفطرة السليمة القويمة، ونجد هذه الآية تين ل الحفيفة « إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا، منّا فأعير لنا وآزحمتنا وأنت خير الزاهمين » فاتخذتهم سخرية حتى أدنوكم دكرى وكنتم مبتهم

نضحكوك « إني خزينتهم اليوم بما صرّوا أنهم هم العايزون » تشوا على داك القول ومعابه ومقتصاه، ولم يبالوا باستهزائكم فكبراهم الصانرون بعد انتهاء مدة الاحتار التي هي بالنسبة لما وراءها قصيرة، ولو كانت أعيار الأمم

السابقة الذين يُعْمَرُونَ أَلْفَ عَامٍ أَوْ رِيَادَةَ، هِيَ قَصْرَةٌ بَنِيَتْ بِمَا سَيَأْتِي بَعْدَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنٍ ﴾ ﴿ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ ﴿ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . . .

وجوب تفقد المؤمن لحاله ووجهته وماله

تجاهل كثير من الناس هذه الموارد الأنيعة بحقائق من كلام الحق، وكلام رسوله فلا يتفقد أحدهم نفسه فرحه واسعدته فداها " بقل فيرب الله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ . . . واطرح نفسك في ارتياحك وإشراحك؟ سماع أي الأنواع من الأقوال؟ أي الأنواع من القصص؟ فإن ذلك يحكي المسألة بين باطلك ووجهتك، وبين ما سمعته وبين ما تشرح إليه وتفرح به.

واهتم بتربية قلوب أسرتك وأصدقائك على الإشراح بالذكر للرحم والطمأنينة والذكر لأخبار الصالحين، واعمر من عمرك نصيباً بذلك الخير الوافر الذي يسوق إليك مواضع من رحمة ربك وزيادة في الفقه في دينك، ورفعة في فؤادك إلى غير ذلك من المنافع الكبيرة.

وكم من الآيات رتب الله فيها على القلوب أمر عظيم، فإن تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ﴾
 إماماً ﴿...﴾ وقد تعالى ﴿فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ومنهم من يقول ربنا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا الْآخِرَةَ لِمَتَّقِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَسْبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿...﴾
 لم نعد الحق نذكر وتعالى في الآيتين عن حال الصريقين شيء من الأعمال إلا بالقول الذي يدل على أحوالهم ﴿فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي نصيب، فإذا توجه شيء من الدعاء إلى الله طلب به صحة الخلد وكثرة المال، وما يتعمق بأجساد وأموال ومطهر ورحارف زوجته وأولاده وبحوها، ونسى نصيبه من الآخرة، وطب ما هو أعظم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا الْآخِرَةَ لِمَتَّقِينَ﴾ كما يلاحظ في الآيات معدة بدعوات مما رتب على هذا القول، فيه يدل على جمع أحوال القلب وينصم إشارات للأعمال المتناسقة معه. لذلك يجب أن لا يستهين أحد من المسلمين بالكلمات ولا بما يشرح له صدره من أنواع الكلام

سأل الحق تعالى أن يشق قلوبنا على صدق الوحيه إليه، ويرر قنا من حسن القول ما يحور به أوسع الطول، ونظفر به بالطهر الأوسع من حيرات الدارين
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين

الدرس الثاني والعشرون:

رونق أدب العطاء والأخذ

الحمد لله أفضل الحمد وأتمه على كل حال، وصلى الله وسلم على عبده المصطفى
 ذي النور المشرق المتلألئ، وعلى آله أكرم آل، وأصحابه ومن سار في دربه في يومه الدار
 أما بعد فإن من حمة ما يتعلق شأن الإنسان في أعصائه وقلبه أن يوفى شئ
 نفسه بواسطة عطاء مفروض عليه في المال والبدن، فهناك لأموال التي تحب فيها
 الزكاة، وهناك الأبدان التي فُرِصت فيها الركة على الصغر والكبر والذكر
 والأنثى، فمن وجبت على الإنسان نفقته وحيث عليه ركة فطرته، وتحب بحروح
 رمضان ومحبي أول جزء من شوال فله ركة دكر من أركان الإسلام وفُرِصت في
 السنة الثانية من الفجره، يُراد منها استجراح الشح من النفس، قال تعالى * ومن
 يُوقِ شُحَّ نفسه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وفي آخر (ثلاث من كن
 فيه وقى شح نفسه من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النانية) .

الإنفاق علامة الإيمان

جاءت درجات الإنفاق بحسب الإيمان، فإن الله حبب إلى القوس الأموال
 بأصافها، ثم جعل العلامة على محبته أن تُفق تلك المحبوبات بحكم الطبيعة من
 أحله عر وجل، فتكون علامة واضحة على صدق العبد في محبته لله، بأن يفق ما

نَحْمَدُكَ يَا رَبِّ، قُلْ تَعَالَى مَنْ تَسْأَلُوهُ لَيْزٌ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۖ
وجاءت المسابقات بين الأكاره في معاني سحائهم وجودهم وعظائهم، وقال
الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بن فضال عن مفتدي أهل السجاء والكرم واجود
صلى الله عليه وآله وسلم:

وفي السجاء كأنه البحر رحر يعطى منب وأتوف من حصر
وما اصطفى لنفسه ولا ادحر إلا يسراً وهو ذو العيال

ولم أعطى بعضهم أعداً من حديد، عدد إلى قومه يدعوهم للإسلام ويقول
يا قوم أسلموا، فإن محمد يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وفي رواية من لا
يخشى الفقر

ولأجل هذا السر في رتباط اليد والركاة باليد - سواء كان ركاة فطر أو
ركاة مال أو كسب صدقة تضوع أو كسب هدية هدى ارتطت بطيب النفس بها
وحصلت البركة في ذلك، ورُتبت الثواب العقيم على من أعطى الركاة طيبة
نفسه، وفي ذلك يقول سعد بن معاذ لمصطفى صلى الله عليه وسلم: خذ من
أموالنا ما شئت، ودع ما شئت والذي تأخذ أحب إلي من الذي تدع

فكانوا يفرحون بأن يدلل الله تبارك وتعالى، وما يأخذه الواحد منهم فبصره في
نصرة الله ورسوله أحب إليهم من جميع ما يترك.

(١) وهو من كتاب الفوائد من رسائل سرور الله تعالى (لا ذكره عنه) حديث ١٢٣١٧

(٢) وكان ذلك في خروجهم لغزوة بدر لما استشارهم النبي في قتال قريش، وقد تقدم سابقاً

تقويم النظرة إلى المقصود من المال

ومن هنا تقوم النظرة إلى المقصود من المال، فإن الذين يجعلون المال مقصوداً في حد ذاته قومٌ سقطوا عن الرتبة السنية و رقيقة في الأساس، وتشبهوا بمن كهر بالمصير والمرجع إلى الله والدار الآخرة.

وحسب تقوم الفوارق الكثيرة، فهؤلاء الذين نسوا من الآخرة لا هم لهم لا الدنيا، ويصعب عليهم الحار عند الخروج من الدنيا لأنها عاينتهم ولا غاية هم وراءها، فمهم من يجعل هذا المال لأجل قضاء الشهوات فهو يصرفه في قضاء الشهوات فيتجاوز حدوده ويعدى حدود ربه ويخرج عن منهج ربه غير عاين بأن مال ذلك ومصيره شدة عليه وبلاء في الدنيا قبل الآخرة علماً والعياد بالله تبارك وتعالى.

ومهم من صارت شهوته في إمساك المال لنفسه ولو لم يصرفه في دواعي الشهوات الأخر فتحور عنه المال إلى غاية من العبد، وكل أولئك يشتمهم الحال عند الغرغرة، وعند مفارقة الروح الجسد.

ولكن من قدم لآخرفته وكان مستعداً للقاء ربه يكون حاله عند الموت أقرب لأن يفرح بقاء الله، وأن يحب لقاء الله، فيحب الله حل حلاله لقاءه

وفي القرآن الكريم وصفٌ للمشركين بعدم إيتائهم البركة، قال تعالى ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين لا يؤتون الزكاة ﴿ فَجَعَلَ هَٰذَا مَطَهْرًا وَاصْحَابًا مِّنْ

مظهر أهل الشرك بالله أنهم لا يؤتون الركاة، بين بذلك أنه على قدر الإيمان تكون الرعة في العطاء والمبادرة في إحراح الركاة، فنجد كثيراً من التجار المسلمين من يتحرى بركته أهلها من الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله عز وجل في القرآن: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَجِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَقَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآبِ السَّبِيلِ ﴾ . . .

فلا بد من التحري وإيصاها إلى محلها، لا كما يصح الشيطان ويلبس على كثير من الدس يُجرحون الركاة، فهم يؤدون الركاة ولكن مع أدائها لا يتحرّون وضعها في محلها، فقد يُجايون بها أو يداهنون بها أو يعطونها محاملة لمن ليس من هذه الأصناف، فلا تلع محلها فكأنهم لم يجرحوها، فيقعون بذلك في الخرج.

فالركاة حق لله تبارك وتعالى لمن يشهم الله في كتابه، يجب أن تؤدي إليهم كملة طيبة بها المنوس، فتكون طهرة للمزكي. وكما قال صلى الله عليه وسلم في ركاة الفطر «أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث»، أي تحجر الخلل والتقصير الواقع في صوم الصائم، وتسبب قبول صومه عند ربه عز وجل..

فيحب على أهل كل قطر أن يكفوا الفقراء والمساكين عن المسألة في يوم عيدهم، فيعطونهم العطرة فلا يحتاجون إلى سؤال أحد في يوم العيد.

(١) رواد أبو داود في كتاب الركاة - باب ركاة الفطر (الحدث: ١٦٠٩) ومن مخرج في كتاب الركاة - باب صدقة الفطر

(الحديث: ١٨٢٧).

علو الدرجات على حسب المقاصد والنيات

إذا علما ذلك فإن ترتب ترقية النفس ورسنها حتى تكون فرحة بها نعطي
 بذكر الأثر والثواب الذي يترتب على الإيفاء واعطاء في سبيل الله في سمو في
 الإخلاص والمقصد، فإن تعالى في مدح عباده المتقين لأحبار الأبرار * وَيُطْعَمُونَ
 الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ
 جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١٠٧﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عُثُوبًا فَمُطَرِّبًا * وهم في
 تفسير قوله تعالى * عَلَى حُبِّهِ * معبود المعنى لأول مع حجتهم في ذلك
 الطعام، والمعنى الثاني وهو الأرقى والأعظم (على حبه) أي على حب الله تعالى ،
 انطلاقاً من محبة الله الذي أمواه ربنا وأيمنوا بالمصير إليه، فمحبة لله يطعمون
 الطعام مسكيناً ویتیمًا وأسيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ * الذي أحسبه فعرب عن
 محبتنا له ببذل ما تحبه النفوس رجاء رضى الملك القدوس.

وإنما علو الدرجات للماديين متوقف على حودة المقصد، وطهاره الخاص،
 وصفاء السريرة، وإخلاص المقصد لوجه الله بآرك وتعلى وفي ذلك جاء عنه
 صلى الله عليه وسلم (سبق درهم مائة ألف درهم)، قالوا يا رسول الله كيف
 يسبق درهم مائة ألف ؟ قال ((رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له

(١) حكى المعين ابن كثير والتعليق في تفسيرهما عند تفسير قوله تعالى. ويطعمون الطعام على حبه

مالٌ كثيرٌ فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها ، ذكر حبيته أن صاحب مئات الألوف يفتق من ماله كثير لا تساوي بسبه مائة ألف إن مدته شيئاً يذكر ، وأن صاحب الدرهم الواحد لا يملك إلا درهماً فأخرج الدرهم فهو قد أخرج نصف ماله بخلاف ذلك فهذا وجه ، والوجه الآخر أنه كلما كان القصد أحلص أو كلما كان الصمير أصغر كان ذلك أعظم عند الله تبارك وتعالى

ومن ههنا أمرنا في البدل والعطاء باليد أن نلاحظ القلب أن لا يمين بالصدقة والعطاء وأهدية على أحد ، ويعلم أن المالك الحقيقي هو الله . والموفق هو الله . والذي ملكه هو الله . والذي سلط على القلب العطاء هو الله . والذي وفقه لتعطاء هو الله . والذي خلق لمعطى هو الله . والذي يشره أن يقبله هو الله . فانكل الله تبارك وتعالى ، ومن ههنا عُدَّ المان بالصدقة ممن لا يطر الله إليهم يوم القيامة ولا يبركيهم وهم عذاب أليم . وذلك أنه تناسى حق من له حق وهو الله حل حلائه ، وأراد أن يقيم نفسه كأنه المالك الرراق المقدم المزحرف الصار ! ولم يعلم أن الله إنما سحره في ذلك ، وسحر له تدبُّ لأشياء احتدراً أنه ، والكل في الحقيقة مُلْكُ الله قال تعالى : ﴿ وَبِهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . وقال

(١) واه الساني من أي فرد وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک من أبي هريرة

(٢) في حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة لا تكلمهم الله

يومئذ : لا يطر الله إليهم ولا يبركيهم وهم عذاب أليم . قال فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من ربه

أولها : جدوا وحسره من هم يارسول الله ؟ قال : من لم يزل يمشي سبعة رجليه الكذب

سبحانه ه لله ما في السموات وما في الأرض ه وقول تعالى ه سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ه

بذلك كله يخلص إلى وجوب تقويم الصبر على محبة الله سائر ما من حلال حسن التصرف به بملك، وأمامه درجات الترفي إلى حدود لا يشاء المشرك إليه يقول الله تعالى ه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ه وقول تعالى ه هم درجات عند الله ه والله بصير بما يعملون ه

أدب الأخذ

يختلف جانب الأخذ من شخص لآخر والأخذ يصح على حسب سنه ومقصده ولتعات فده، وقد شهد أن المعطي في الحقيقة هو الله، ولم يأخذ بكثرة ولا لأجل الشهوات، ولا بإظهار وصف ليس فيه فيبارك له في أخذه، وساركة فيها يستلمه ويقع في موقعه ويجد له ثمرات طيبة..

والأخذ باللهمة وشدة الرغبة والحرص والطمع لا يبارك له فيها يأخذه وتلك القاعدة التي عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد عمر بن الخطاب وقد عرض عليه بعض المال فقال اصرفه إلى من هو أحرص مني، فقال صلى الله عليه وسلم ه «أخذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت عبر مشرف

ولا سائل فحذه وإلا فلا تُتبعه نفسك ، فحينئذ يعلم أن القاعدة أن لا تُسعى
أنفسا ما في أيدي الناس ولا تشئت به ، وفي الحديث ، لا يفتح أحد على نفسه
باب مسألة للحلق إلا فتح الله عليه باب فقر ، فتحد معي اعتر في قلبه تتسع
عليه ، وتُتعمه ويُتعب بها الناس معه ، ويعيش في كد ويستقل إلى حراء لا يحمد

فيسعي تعيقُ القلوب بحق تترك وعالي ، وإذ مثها على الاستقامة في العطاء
وفي الأحد وقصد وجه الله للمعطي والاحد ، ويحصل بذلك صلاح للمجتمعات
وبشر للامتدعات ، وخيرات واسعات ودفع لليت كما ورد في الحديث ، إن
صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء» .

اللهم اجعل من الصادقين المتصدقين المحلصين المهقين المستعمرين
بالأسفار.. برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلی الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

١١) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب رزق الحكام والعامة عنده (حدث ٦٦) ومسلم في كتاب تركه باب

من أعطي من عمر مسألة ولا يشرف (حدث ١١٠٤٥) والبيهقي وأحمد عن عمر بن الخطاب

١٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

١٣) رواه الطبراني في الأوسط

الدرس الثالث والعشرون:**تغيير الدعاء وتلمح الإخلاص**

الحمد لله الرحمن الرحيم، الملك الخواد الكريم، بأنه أن يصلي ويسلم أفضل الصلاة وأزكى التسليم على عبده المصطفى المحتسب ذي الحق العظيم، وعلى له وأصحابه ومن سار في منهجه القويم.

أما بعد فإن من حملة ما بارل الإنسان في مملكة قلبه وأعصابه شؤونٌ تحيّر الألفاظ في الدعوات، وفي ذلك حياء الأحرار ضمت الصحة لبعض الأدعية من رسول الله، وحياء أيضاً احتيرات من الحق تعالى وهنبا لنا فعندما أدعئ في الكتاب العزيز ندعوه بها، كم تقدم في بعض اندروس ذكر شأنه على من يدعوه بقولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وصح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان بكثير من هذا الدعاء

طلب الكرامة الحقيقية وهي الاستقامة

علمنا الله تعالى كيف ندعوه، ومن أعظم ذلك ما تضمنته فاتحة الكتاب أعظم سور القرآن ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط الدين أنعمت عنده * وهو أعظم ما طلب من الحق، إذ قد دعا إلى المشي على الصراط المستقيم والاستقامة عليه، فحين نطلب منه توفيقه وإعنته على القيام به دعاء إليه يكون

مقدار الطلب عظيمًا، فهو من خير ما نطلبه من الحق حل حلاله، فطلب منه أن
يمكن في جميع الصفات التي دعانا للتخلي بها، وأن يجلبنا عن جميع الصفات التي
حذرنا منها وسهاا عنها، ومن هنا جاء قولهم الاستقامة أعظم كرامة.

فمن أعلى ما يكرم الله به العبد أن يوفقه للاستقامة في أقواله وأفعاله وأحواله،
ولذلك إذا سبوا هذه الكرامات الحقيقية للكرامات الصورية - التي قد تكون
كرامة وقد تكون استدراجاً وقد تكون غير ذلك -، قالوا: استقامة مع الله في ركعة
خير من ظهور سبعين كرامة، أي من حوارق العادات التي تتعلق بها النصوص
وتتشوّف إليها، حتى أن من الناس من يطرأ أن الولاية والقرب من الله تعالى قائمة
على حرق العادات، وليس الأمر كذلك.. فكم من عبيد الله لا تظهر على
يديه شيء من الحوارق أرفع درجة عند الله وأعظم حالاً ممن يُظهر الكرامات.

والتعلّق بخوارق العادات من حملة هوى النفس، ومن هنا قام الاجتهاد عند
المجاهدين في العادات على أن يخلصوا قلوبهم من قصده، حتى لا يكون هم
مقصود إلا استحابة لأمر الله تعظيماً وإحلالاً له، وقياماً بحق ربوبيته وأداءً لحق
العبودية له حل جلاله. فهم يشتهون لئلا تأخذهم مقاصد هذه الأهواء، فهي من
جملة أهوى ومن هنا يعلم أن الراسخين في العلم والولاية يكونون من أبعد
الناس عن الهوى، لذلك فإن غالب ما يصدر من كرامات الأولياء على غير رغبة

مهم فيها أو شعفٍ بها أو تحكُّم فيها، ولكن تظهر إما من حيث لا شعرون حيث يُجرىها الله على أيديهم، وإما حاجة من الحاجات وضرورة من الضرورات

وقد حملت لما السيرة النبوية هذه المعاني، فرى كم من أحوال الشدة صر فيها صلى الله عليه وسلم! وكم من أحوال الجوع! وكم من أحوال العطش! وبعده في بعض الأحوال يُظهر كثيراً من الخوارق، وكثيراً من المعجزات لحكمة.. والأسياء أيضاً مُتعمدون بإظهار المعجزات دعوة إلى الله لإقامة الحجة على العباد، وفتح أبواب الرحمة لخلق الله سبحانه وتعالى.

أنواع الخوارق للعبادات

يجب أن يستقر في القلب أن الكرامة الحقيقية هي أن تُحَلَّى بالوصف المحبوب لله، وأن تُنقَى عن دنس المحالعات للحار جل جلاله، ولأجل هذا فإنهم يطورون من الإنسان إلى استقامته على سمة المصطفى صلى الله عليه وسلم واتّباعه له، وهو الأساس والميزان؛ وليس بصحيح أن من كان أعظم ولاية عند الله تظهر على يديه الخوارق أكثر، بل إن هذه الخوارق قد تكون على سبيل الكرامة للمستقيم الصالح الذي لا تزيده إلا تواضعاً وأدباً مع الله، وقد تكون تليساً وتدليساً، وإما سحراً وشعوذة لمن يستعمل ذلك، وإما إهانة من الله لبعض أعدائه مما تُحرق العبادات على ضد ما يريدون، أو استدراجاً لبعضهم مما يكون من خرق العبادات وفق ما يريدون، كما يحصل للدجال الذي يخرج في آخر الزمان، ومن من نبيٍّ إلا حذر أمته

من الدجال، وقد حذرنا منه بيئنا صلى الله عليه وآله وسلم وزادنا بيانات لم تكن على السبب الأنبياء قبله، وقال مهبط حقي عليكم من شأنه فلا يحفى عليكم أن ربكم ليس بأعور، وهو أعور العين، فلا يغربكم ما يُظهر من الخوارق.

وقد حاءنا في الصحيحين أن من أفضل من يُقتلون في الله دأك الذي يقتله الدجال ثم يحيه حارج حدود حرم المدينة، فيدعوه إلى الإيمان به فيقول: أنت الأعور الدجال الكذاب الذي حدثت عنك رسول الله، فيشقه بصفين، ويمشي بين صفيه ثم يقول: قم، فيقوم بإذن الله اختباراً لحال المؤمنين، فإذا انتصب قائماً قال له: أنؤمن بي؟ فيقول: ما ارددت فيك إلا بصيرة قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يعمل بعدي بأحد من الناس قال فأأخذ الدجال ليدبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً^(١).

ولا يفعل بعده بأحد شيئاً، في أيام فتته التي تموح في الأرض وتدخل من باب الشهوات التي إذا تحكمت على عبد أخرجته عن مبادئه وعن أخلاقه، فليكن الإنسان على بصيرة؛ وقد حاء في الحديث أن عيسى بن مريم بعد نزوله يحبر أقواماً من الصائرين أيام الدجال بمسارهم في الجنة جزاء ما صبروا وذهبوا إلى الجبال فلا تعذية حتى يعث الله لهم ظاء يشربون من ألبانها، ويجعل لبعضهم تعذية

(١) أصل لفظة موحود في الصحيحين، البخاري كتاب الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة (الحديث ٦٧١٣).

ومسلم في كتاب الفتن باب في صفة الدجال وحرمة المدينة عليه وهله الخوف وإحاطة (الحديث ٢٩٣٨).

بالتسبيح حتى تنتهي أيام الدجال. ويعطيا هذا الصورة عن السحاح في الصبر وإدراك احتيار المسلك الحسن كاختيار القول الحسن الذي ابتدأ به حديث عنه

الاعتناء بالدعوات الماثورة في الكتاب والسنة:

ومن جملة اختيار القول الحسن الأدعية التي كان يطبقها الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقول السيدة عائشة يا رسول الله أرأيت إن أدركت ليلة القدر فبم أدعو؟ قال صلى الله عليه وسلم «قولي اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني»، فعلمها هذا الدعاء العظيم الجامع الذي تطلب فيه العفو من ربها الكريم، وهو سبحانه وتعالى حسن العفو، إذا عفا وسمح ستر عهده وتحمل التبعات عنه وأرضى عنه خصوصاً وأدخله جنته برحمته.

فينبغي أن يكون للمؤمن نصيبٌ من أحد آيات يدعو بها من آيات الدعوات في القرآن، ويأخذ بعض الأدعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يسن الدعاء بها في مجالسه، وقد دللنا صلى الله عليه وسلم على ما يحتم به المحالسين ليكون كفارة لما جرى ما في المجلس وتنبأ لما كان فيه من الخير، فعنما عند القيام من المجلس أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»^(١).

(١) أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح، وأبو داود والنسائي

كما علّمنا صلى الله عليه وسلم عند الخروج من البيت أن نقول: (بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) فمن قال هذه الكلمات عند خروجه من البيت قال له ملك. هُديت وكُفيت ووُقيت، وتَحَيَّى عنه الشيطان، فيقول له شيطان آخر. كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفي ووُقي، وقد علّمنا صلى الله عليه وآله وسلم عندما أن نسبِّح الله ثلاثاً وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين، وبكّرّه ثلاثاً وثلاثين أو أربعاً وثلاثين، وأن ذلك خيرٌ لأحدهما من الخادم كما علّم ذلك ابنته فاطمة الزهراء وسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورصي عنهم، ودلّت عندما فكروا بطلب خادمٍ من الخدام الذين يورعهم فعلمهم هذا الدعاء^(١)، وفي هذا المدح أنه ينبغي أن سَخِرَ من الأقوال والدعوات ما يكون لنا زادٌ وفتحٌ لأبواب البر من ربنا ودفعٌ للأسوء عنا. يقول سيدنا حذيفة بن اليمان: يأتي على الناس زمانٌ لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاءٍ كدعاء الغريق^(٢).

اللهم اجعلنا من الداعين المقبولين واجعلنا من المستجاب هم يا رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه الترمذي في أبواب الأدب عنه صلى الله عليه وسلم باب ما يقول إذا خرج من بيته (الحديث: ٣٤٢٦)، ومما حدث حس صحيح، وأبو داود في كتاب الأدب - باب فيما دخل بيته ما يقول (الحديث: ٥٠٩٥) ولفظه:

(٢) رواه البخاري في كتاب العقاب - باب عمل المرأة في بيت زوجها (الحديث: ٥٠٤٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب التيسيع أول النهار وعند النوم (الحديث: ٢٧٢٧)

(٣) رواه الحاكم.

الدرس الرابع والعشرون:**نظرات عميقة في السيرة النبوية**

الحمد لله الملك الفتاح العليم، المان الحواد الكريم، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، أرسل إلينا عبده المصطفى محمداً الذي ختم به رسده، وشرفه بالذكر الحكيم الذي عليه أمره، اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأحيار، والسائرين على دربه، وعلب معهم وفهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد. فإن في مُدارسة السّر خصوصاً للأشياء أثراً قوياً بالعباءة كبراً في الاتصال بأسرار السوات والرسالات، والاتصال بمن نأ السّين وأرسل المرسلين، وهو الله رب العالمين ولقد عرفنا ما ذكر رثا عن قصص المرسلين وما رتب عليها من عظيم الفوائد وكل ذلك يدل على أنه يسعى أن يكون أحرص على قصص وأخبار سيد المرسلين وحاتم السّين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إمامهم وسيدهم ومقدمهم.

دروس من فتح مكة

إن السيرة النبوية لها حوتة من فوائد كبيرة لها عظيم الأثر في تطهير الضمائر عن الأكدار، وفي ربط صغارنا وكبارنا بقدوتنا وأسوتنا ومحلّ رصوان رسا أن

نفتدي به وأن هتدي به. وفي ذلك كله تنمية لمعاني الإيمان واليقين، وما أوسعها وأوسع أخذ العبر منها

ولعرض لغروة فتح مكة المكرمة، التي حدثت في العشر الأواخر من شهر رمضان، وبأخذ بعض ما فيها من العبر والدروس التي تحتاحها الأمة، ولتأمل في واقعا ما شحَّ به أذهاننا وأفكارنا وأذهان أولادنا من هذه الأخبار، وما شحَّ به أفكارهم من الأخبار الأخر التي ربما كان فيها الضار، وربما كان فيها المكدر للصير، وربما كان فيها المحرئ على المعاصي والسيئات، وربما كان فيها المهوّل لشأن الطاعات والعبادات.

وهذا الشحر الذي تُشحن به العقول له تأثير كبير، إن اشتكى الناس في بعض المراحل والحوادث من تعذبات حاطة عما يتعلق بفهم الدين، فإن التعبئة الحاطة فيما يتعلق بفهم الدنيا لها خطورة كذلك، ولها آثار في واقع الناس وفي حياتهم وفي مسالكهم وفي معاملاتهم، لذلك يجب أن نتبه لما نشحر به أفكار وأذهان أنفس وأهاليينا وطلاننا وحلسائنا، فإن الذي لا يدرك أن عليه مهمة فيمن يحالس وفيمن يبي أمره وفيمن يحاوره منحط عن رتبة الإنسانية وعن رتبة الإيمان... ولذا جاءت الخطابات للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (البقرة ١٠١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (سورة الاحزاب ١٠٥) وقوله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

وَأُولَئِكَ فِتْنَةٌ وَأَنْتَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢١٨﴾ وفي الحديث «والله لا يؤمن من لا يأمن جأزه بوائقه»^(١) إلى غير ذلك.

حُوطِبَ المؤمنون بهذه الرعاية لشأن المحالسات وما تُشعر به الأذهان والعقول، ولن نحد في بصاعات الناس أحسن من أن شحش العقول بما ارتضاه لهم مكوّن هذه العقول وحالقتها ومن إليه مرجع أهل هذه العقول وهو الله البر الوصول.

ما أُرسل الله الكتاب ولا أُرسل المصطفى إلا لشحش أذهاب وأفكارنا وقلوب وعقولنا بذلك النور الذي في الكتاب والسنة العراء ومن ههنا وحسب أن تذكر كم من أثنائنا من لا يدري في أي سنة حدث فتح مكة وفي أي شهر كان وقد حدث في شهر رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، فدخل صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مكة في العشر الأواخر من رمضان فتحّاها بعد صيرٍ طويل، بعد تحمّل جليل، بعد عدى ومشقة جرت في تسليم ورضوان وسكينة واطمئنان، عانى ما عانى وقاسى ما قاسى في مكة وفي فحاحها وفي شوارعها من الاستهزاء والاستحقاف والإيذاء والعباد واللمز والسب والشتم والحنق ووضع الشوك في الطريق إلى غير ذلك من أنواع الأذايا.

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب باب من لا يأمن جأزه بوائقه (أحدث: ٥٦٧٠) ومسلم في كتاب الإيمان ص ٥ بحريم

إيذاء الجار (الحديث: ٤٦) عن أبي شريح

السمو في حسن التعامل

قبل أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة بركت ناقته القصواء ولم تقم، فقالوا خلأت القصواء، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطئة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها». وكان تبيين حقيقة ما يقوم من سمو عن معاني الصراع القائمة على وجه الأرض، وما يعثر عنه من صراع بين الحق والباطل، فيمكن عند التمحيص والتدقيق أن يقال إن هذا اللفظ جاء على سبيل المحار.. وهذا من جانب، لكن الحاسب الخو أسأسه في الانطلاق في الدلالة أو الدعوة أو المقاومة للشر أو الصدد للظلم والطغيان.. انطلاقاً من سميات ليست سوارع ولا دوافع متقاربات فضلاً عن أن تكون متماثلات مع أهل الباطل أبداً.

لذلك جاء ترتيب حقيقة «لا سوء، قتلاً في الجنة وقتلاًكم في النار»^١ ليس هذا من فراغ ولا بالادعاء، ولا لكل من قاتل؛ ولكن لمن عرّف التصمية وعرف التحلية. فوجد النبي صلى الله عليه وسلم مع هذه الثلة التي قامت في وجهه من أول دعوته وأذوا أصحابه سنوات طويلة، لما جاء يوم نصر الله له عليهم

١) رواه البخاري في كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب (الحديث: ٢٥٨١)

٢) قال رذ على أبي سفيان حين قال بعد عروء أحد يوم بيوم بدر، الأهم دور - والحرب مسجد - رواه أحمد وأبو داود في

المستدرک من عمر وقال صحيح الإسناد

يوم فتح مكة، فما كان شيء من الأنظار التي تحتلح في أفكار عامة الناس عند الصراعات قط.

ولما تسرب تصورٌ إلى أذهان بعض المؤمنين وأفراد الصحب الأكرمين أنه يُدل الكفر اليوم بذلة الذين كانوا أحماته وحمَلته، صحَّح الرسول صلى الله عليه وسلم التعبير وأشار إلى ما يقوم له من تأثير.. وكان قد أمر عمَّه العباس أن يبقى مع أبي سفيان عند مدخل الناس في يوم العز الأكبر للحق واهدى، يوم أعرَّ الله رسوله وفتح له مكة، وحلَّ يرى الخيوش تمر، فلما مرَّ عليه سيدنا سعد بن عبادة قال يا أبا سفيان اليوم يومُ الملحمة، اليوم تُستحلُّ الكعبة، اليوم يدل الله قريشاً فتأثر باطنُ أبي سفيان ونفسيته بطبيعة الحال وحكم العطرة الشريفة.

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الخدق ' من الحديد، فقال أبو سفيان. من هؤلاء يا عباس؟ قال العباس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال ' ما لأحدٍ بهؤلاء طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أحيك العداة عظيماً؛ فصَحَّح له المفهوم سيدنا العباس حالاً وقال: ليس الملك، لكنها البوة. قال. نعم إذن ' .

(١) الخدق. جمع خدقة وهي السواد المستدير وسط العين

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح

فتبيّر أن ما يتخالج في الصبائر والعقول وينتشر بين الناس مستحكماً في نفوسهم من النظرة إلى مسائل الملك الديوي ليست في الدين، وليست من طلبات أهل الصدق مع رب العالمين، والمدك في مكة قد عرض عليه في أول دعوته، لكن على أن يترك بعضاً مما أمر به، وفرصه ولم يرص أن يأخذه ثم يؤول التأويلات أنني بالملك سأتوصل إلى إقامة أمر الله ولو على المدى البعيد! بل رفض السي الملك من أصله لأن النظرة قائمة على حقيقة في التصور وفي تحقيق المعنى

تقويم النظر إلى معنى الملك

من الحلل الواقع عند المسلمين أن تتسرب إلى عقولهم وأدهانهم مشاهات في التصرفات مع قنات أهل الكفر . فقد تماثل الوسائل أحياناً لكن المقاصد يجب أن تكون سامية لأهل السمو، فلا تنزل قط .

ومن ها إذا تأملنا نظرة الناس مثلاً إلى الخلافة التي وُعد بها رسول الله أن تقوم في الأرض أحر الزمان.. لا يكون الفرخ بها من حيثية أن الفرد منا يحصل المحاصيل الدنيوية، ولا أن يملك هو بنفسه، فتلك التباسات تلتبس على كثير من الناس . وإنما الفرخ من حيثية واحدة وهي حيثية رحمة الله تعالى للعباد وصلاح أمرهم واستقامتهم، وإعزاز الحق وظهوره وحلائه، وتلك أمنية يتمنى كل صادق أن تقوم.

ببما تشئت بعض النفوس بلمح أن الخيرات تميص، والكوز تخرج،
والأموال تكثر، ولا يجد الإنسان من يتصدق عليه، فيتعلق قلبه بهذه لواحي وكان
مراده في الحياة الدنيا أن يأكل ويشرب؛ فمع ندحان يجد مثل ذلك الأكل
والشرب فهل يفرح به؟ أو يحزن أن يذهب معه؟ فاستأنة أكثر من ذلك

ويقول. معاني الفرح ثم السعي الصحيح لمرور دنث العضاء من الله لأهل
الأرض لا يكون بتحكم الأميات للعبات والرائلات في القلوب، ولكن بتصفية
القلوب ونظهيرها وتفتيتها، وإحلاص المقصد والعمل لوحه الله الكريم، فليس كل
من ادعى بصره الله بصر الله، وكم من داع إلى نفسه بطن نفسه الدعوة إلى الله
تارك وتعالى. على سبيل المثال نجد المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما مرّ بأبي
سفيان أحبره بمقالة سعد، فصحيح السي المقالة وأوضح الدلالة وقد بل اليوم
يوم المرحمة. اليوم تكسى الكعبة اليوم يعرف الله قريباً

فهذه النظرة ثابتة وراسخة عنده صلى الله عليه وسلم من قبل الفتح بل من
قبل الهجرة.. ومن قبل حروجه من مكة. يقول لعثمان بن أبي طلحة الذي منعه
من الدخول إلى الكعبة وقد كان فيها رعاء فريش، فمى حاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليدخل رده، فقال: يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أصعه

حيث شئت، فقال عثمان لقد هلكت قريش يومئذٍ ودلت، فقال صلى الله عليه وسلم: بل عمّرت وعزّزت يومئذٍ^(١).

النظرة هي نفسها من قبل، فما كان في ناله أن يدل أحداً من الناس، ولا يهين أحداً من الناس ولا أن يتحاور حدّاً على أحد . بل كان في ناله أن يتشرب العرّ والعمار للشرية والأرض بها حياء به عن الله.. فيحب إحكام النظرة هذه المعان.

أسأل الله يتولانا ويصنع الشأن ويفرح كروب أهل الإسلام والإيمان، ويصقّي قلوبهم عن الأدران ويهيئهم لظهور خيرهم وفيهم، إنه أكرم الأكرمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس والعشرون

منطلق المعاملة في الهدى النبوي

الحمد لله مولانا الكريم، وصلى الله وسلم على سبيه الرءوف الرحيم، وعلى آله وصحبه ومن سار في منهجه القويم.

أما بعد: فقد أشرنا إلى ما يمكن أخذه من بطرات هي موضع التأسيس في المهاج والوحيمة من السيرة النبوية، وفي ذكرنا من أحوار فتح مكة، وما قال صلى الله عليه وآله وسلم عند الدخول إلى مكة مُصَحِّحاً لعبارة سيدنا سعد، حيث بذل الملحمة بالمرحمة. وبذل تستحل الكعبة، تُكسى الكعبة وبذل بدل الله قريشاً بيعز الله قريشاً. فبطر إلى تصوّر أن الدرس تفتح ديارهم ويدخل عليهم في أوطاسهم يُرادُ إعرارهم لا إذلاهم في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (اليوم يعر الله قريشاً)، لأن بطرة خير حلقة بطرة مسامية عن الطن والوهم والخيال الذي يتتاب العقول الشرية ﴿وإن تُطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴿فطرة حبس الرحمن صاحب القول والبطق المزكى بقول الحق تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ هَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ نظرت إلى أن من صد عن سبيل الله، وقتل أهل الله فقتله وقتله إنما يُراد استخراجهم من هذا السوء، وأن يتقل من حقائق الدل والمهابة إلى العر والكرامة، وذلك بأن يُستخرج من ورطات استبعاد نفسه وهواه والشياطين له،

ويسمو لأن يكون عدداً للذي خلقه وهو الله تبارك وتعالى، وينتهي للاستقرار والخلود في حته بدل التعرض لدخول بابه إلى غير ذلك من الأوجه الواسعة في معنى العزة والكرامة.

وكذلك يحمل أتباعه لأهل الأرض حتى لم يحاربهم، فهم يريدون أن يعزهم الله العز الحقيقي، وذلك بقلهم من ذلك الذي هم فيه، وهو دُل حقيقة وإن اقترن به فقر وكرباء وحيلاء واستشاعة وعصب وحوها . أين مكمن هذه النظرة في قلوب القائمين بصرة الحق، والذين يريدون إقامة وإحياء خلافة سيد الخلق؟! ولن تقوم الحقيقة إلا بالانصاف تلت الأوصاف، وإلا بشرب كأس حسبي النظر في حقائق الدنيا والأخرى، وإرادة وجه الله الأكبر جل جلاله وتعالى في علاه.

وقد وحدا في هذه العروة وحدها تلك المعاني الساميات، حتى أنه لما هي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقاتلوا إلا من بادأهم بالقتال، أكد بعد ذلك على تعظيم المكان، قال: مهما نزعاً أولئك وأذونا فلا تستحقنا نفوسنا لأن نتصرف تصرفات المعتدي، فلا لنا نعظم ما عظم الله، وإن هم عظموا البيت بطريقتهم فلا يحملنا شأنهم على أن نشكر لبيت وتعظيمه لأنه بيت الله، فالمسألة دائرة على قصد وجه واحد هو الواحد، بها يكون حقيقة المجد عبد صاحب ذلك القصد ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ﴾

أَحَدًا ﴿ وَمَا أَمْرُهُمْ أَنْ لَا يَبْذُورُوا أَحَدًا يَمُوتَ إِلَّا دَمُ بَصْعَةٍ عَشْرَ ، ثُمَّ
إِنْ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ وَصَلُوا إِلَى السَّمَاءِ وَالْعَفْوِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أسس الانطلاق عند أهل الحق

كل ذلك يدلُّ على أن أصل الانطلاق عند أهل الحق مختلفٌ تماماً عن
انطلاقات أهل الاتجاهات المختلفة ممن انقطعوا عن سبل الحق، والذين انقطعوا
عن سبل الحق هم الذين انقطعوا عن الاتصال بمحمد ومهجع محمد والإيمان
بمحمد والإتيان لمحمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، إذ هو حاتم المسير
الذي نسخت شريعته جميع الشرائع صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

إِذْ تَحْقِيقُ الْعَبوديةَ لِلَّهِ وَقِيَامُهَا بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَسَبِ أَهْوَاءِ
أَوْ عَلَى حَسَبِ مَا يَصِلُ مِنْ نَقْصٍ فِي تَصَوُّرَاتِ وَأَفْكَارِهَا، بَلِ الْأَمْرُ قَائِمٌ عَلَى
اسْتِسْلَامٍ مُطْلَقٍ وَتَخَلُّصٍ مِنْ سُلْطَةِ الْهَوَى وَسُلْطَةِ الْمَسِ الْأَمَارَةِ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ فَإِنَّ الْخَيْرَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝

بهذه الحقائق قامت خلافة الله في الأرض من عهد آدم على سبيل ما عليه أفضل
الصلاة والسلام وحملها السيوف والمرسلون، وجاءت بكاملها وتماها فيمن حبه الله
به الرسالة وهو المصطفى محمد عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وقد بين
لنا وجه الكمال بمثال فقال: «إِنْ مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا،

فأحسّه وأجملّه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» .

إذا علمنا ذلك علماً أوحه الكمال فيما دعاب إليه من المقاصد، وأن وجود العلقة فيما من قبل الكفر مسبة على معنى سام بعيد عن تلك الأكدار التي تُثارُ النفس الإنسانية. فلا تعجب إذا رأيت من أصحابه كأمثل سيدنا علي لم تمكّن من قتل كافر يقاتله في الله، وصبغ الكافر في وجهه، صرف السيف ولم يضره، ويُقال له في ذلك فيقول: لما صبغ في وجهي عصبت نفسي وأرادت أن أضربه انتقاماً لها وأن لا أضرب سبمي إلا الله. إنها تربية محمد يجب أن تبرر معاني هذه التربية في وجهات وفي تدكراتنا لذلك المقتدى، وفيما نتعامل به في هذه الحياة.

مثل سامية ونماذج من تعامل النبي

إذا تدكرنا هذه العروة، تدكرنا معها مثلاً وقيماً وآداباً ووجهات ونظرات سامية رفيعة شريفة ومحد أنه صلى الله عليه وسلم سمح أن يُنادى باسم أبي سفيان الذي كان قبل أيام في المقاتلين الحريين، ثم بعد ذلك يذكر اسمه في البدء لأنه يحب الفخر تقريباً له إلى الله، ليتخلص من المحنة للمحر وعيره. فأمر أن يُنادى: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل داره فأعلق عليه الباب

(١) رواه بخاري في كتاب المغازي باب حاتم السري صلى الله عليه وسلم (حدث ٣٣٢٤) ومسلم في كتاب

الفضائل - باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (الحديث: ٢٢٨٦).

فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن . ووصل صلى الله عليه وسلم المسجد وكثر الأصنام ودخل الكعبة وصلى، ثم حرج وأمسك بعصا دقي الباب وقد اجتمع الكثير من قريش وكان يقدر على أن يقتل من شاء منهم، وأن يعذب من شاء منهم.. وأن يسجن من شاء منهم فاعلى كلمة الحق بذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر وعده، وهرم الأحراب وحده

تصور بيتك وهو ماسك بعصا دقي باب الكعبة وهو يتلو هذه الكلمة اسي قُوتل عليها، وأودي من أهلها، وهاجر وحرج من مكة من أهلها، واليوم قد وصل وهو عند الباب يعلنها صريحة، والقوم الدين كانوا يؤدونه وأصحابه من حواله ثم يخاطبهم يا معشر قريش ما تطوبونني فاعلنكم؟ فقالوا: حبراً، أح كريم وابن أح كريم، قد ادهوا فأنتم الطلقاء، وأصدر عمرو عملاً عفاه عن كل ما مضى، فامتألت القلوب إدراكاً لعظمة هذا الإنسان ومهجه وأنه لا يريد شيئاً من الدنيا ولا ملكها ولا غيظاً لنفسه وقد قبائلهم ما طابت هدا إلا بسنن سي . قد حل الناس في دين الله أفواجا ببركة أخلاق المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم. حيث قام مقام الوفاء ومقام الأدب.

تتقن صلى الله عليه وسلم من رحل أنه يريد قتله فأطلعه الله على دلت في كان إلا أن كافاه بدعاء وتوحيه إلى الله، فوضع يده على صدره فتحول من يريد قتل،

(١) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير - باب فتح مكة (الحديث ١٧٨٠)

(٢) هذا صغرة من أمية لا أسم في حق وأعطاه سي من العائم وأكثره (صانه في غير صحانه

إلى عاشق وصل، إلى متصل بالحناب الشريف. كافأه بأن داواه وتوجه إلى الله في شأنه.. فبيما كان فضالة يحدث نفسه أن يقتل النبي في يوم فتح مكة، وترقب فرصة يطوف فيها بالبيت والناس مشغولون، فأحد يترقب الفرصة ليصر به ضربة من ورائه فلما دنا منه وقف السي والتفت، قال: أفضالة؟ قال نعم، قال ما تحدث به نفسك؟ قال لا شيء كنت أذكر الله، فتسم الرسول.. والرجل بين يديه يقدر أن يفعل به أي شيء فوضع يده على صدره ودعاه، قال هو الله ما رفعها وعلى وجه الأرض رجل أحب إليّ منه. فداواه الله من تلك الأمراض، وصار محباً لله ورسوله محبة صدق، وصار يُصرب به المثل في الأدب مع الله والالتزام بشرع الله. من نفس اللحظة خرج من المسجد فإذا امرأة كانت تتحدث معه الأيام الماضية فقالت: هلم إلى الحديث، فقال:

قلت هلم إلى الحديث فقلت لا	يأني عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله	سأفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أصحى بيب	والشرك يغشى وجهه الإظلام

فصلى الله على حامل داك النور والفكر الواسع والقلب الرحيم والصدر الواسع الشفيق. اللهم ثبتنا على طريقه، واحشرونا في رمرتة، واررقنا حقيقة نصرتك ونصرتة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. والحمد لله رب العالمين

الدرس السادس والعشرون**سعة الشريعة وأدب الخلاف**

الحمد لله مولانا الحق المبین، لا إله إلا هو مالك يوم الدين، أرسل نبيا عبده المصطفى الأمين، محمداً ناهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، اللهم أدم معك الصلوات والسبلات على عبدك محمد رفيع الدرجات، وعلى آله وأصحابه ومن سار في مهجته على الثبات، وعلى معهم وفيهم يا مجيب الدعوات.

أما بعد: فإن من حملة ما يكون للإنسان في مملكته العظيمة، مملكة القلب والأعضاء، شؤوناً تتعلق بحسن النظر إلى المنهج الإلهي في تقويم معنى العبودية وتلمُّح الحكم العادية، ليُحرَّح بذلك عن الاعتزاز بواسطة الاعتناء، وتُحصَّل من الذاكرة على موحى الثبات على المسار، ومما يتعلق بذلك تقويم الطفرة إلى وجود الاجتهادات الصحيحة.

سعة الشريعة وحكمة تعدد الاجتهادات

قامت مذاهب المسلمين على اجتهادات صحيحة قائمة على الكتاب والسنة وملاحظة الإجماع وحسن القياس، فهي تمثل عظمة الأصل والمرجع والمصدر وسعته.. وبذلك تُعلم ضرورة النظر إلى الحكمة في وجود هذه المساحة لدوي الاختصاص من أهل النظر والاجتهاد؛ وفي التميز لتلك السعة والعظمة ما يخدم

مصالح العباد الحقيقية في مختلف البلاد ومختلف الأرملة، وما يربي الفرد المسلم على الخروج عن العصبية ولزوم الأدب مع الحق سبحانه وتعالى، ويفتح للعقل أفقاً ليتسع له الحال بحسن الاستدلال بسعة النظر في ترتيب الأدلة والقيم بحققها مع معرفة كل قدره وحدته، بأن لا يتحاورة ولا يجعل مفهومه - إذا كان من أهل المفهوم الصحيح والمهيئين للاحتهاد - لا يجعله في مثابة المص الذي لا يجوز الخروج عنه ولا المخالفة له وهذا ما حملت به سيرة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحملته لنا في مختلف أنواع العبادات.

ولو تأملنا الصلاة لوجدنا تسابق الناس إلى إقامة الصلوات والإكثار من نوافلها، فمهم الكثير ومنهم المقل ويأتي الحديث « الصلاة خير موضوع فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقل، فيأتي عن بعض كبار الصحابة صلاة العشرين ركعة والثلاثين ركعة والمائة ركعة في الليلة كسيدنا عثمان بن عفان.. ويأتي عن بعضهم عدد أقل من ذلك.

ثم وسط الصلاة لهم أدعية يدعون الله تبارك وتعالى بها، ومنها ما جهر به الصوت وسمعه المشرع صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وبشر أولئك الداعين والمتكلمين بذلك الذكر بما بشرهم به، فصيح في الحديث عن ابن عمر أنه قال: بينما نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل

من القوم: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من القائل كلمة كذا وكذا؟» قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال «عجبتُ لها، فتحت لها أبواب السماء» قال ابن عمر: فما تركتُهن منذ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فعطمت هذه الكلمات واهتمت بها واعتسى بها من أثر إقرار المصطفى لذلك العدول لها ثم جاءنا في الحديث الصحيح عن ربيعة بن رافع يقول كما يوماً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله من حمده، قال رجل: وما ذلك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المكلم آتياً؟ قال الرجل أنا يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت بصعاً وثلاثين ملكاً يتدرونها أيهم يكتبها . فشتره بتأذر الملائكة لكتابة تلك الألفاظ

أدب الخلاف

وهكذا نجد الصحابة الكرام يدعون الله تعالى بالأدعية المختلفة، وفي هذا نلمح ما أشرنا إليه في بعض الدروس السابقة أنه مما يسعى للمؤمن أن يجعل له نصيباً من دعوات القرآن ومن الدعوات السوية، فلا تتحاصر بعد ذلك على عنق

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يقول من تكبير الإحرام وغيره (١٥٠)

(٢) رواه أحمد وابن داود وابن أبي شيبة وأحمد ولفظ صحيح الإسناد وورد في الصحيحين بألفاظ منه هذه رواه

باب الدعاء أو مع نوع من أنواع الدعاء لم يرد النص بمنعه . بل كل دعاء غير
إثم ولا قطيعة رحم فهو من الدعاء المأمور به على وجه العموم، وهذا يحفظ
للعوميات خصوصيتها، ويكون عامدين بالنص وسائرين على هدي صاحب
الشرعة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.. عثم هذا دعاء، وعلم هذا دعاء،
وعلم هذا دعاء، ولم يلزم الكل بدعاء واحد، ولم يقتصر الذي علمه الدعاء على
الدعاء الذي علمه وترك بقية الأدعية في مختلف الأحوال.

إذن فالسير إلى الحق تبارك وتعالى يجب أن يقوم على صفاء في الساطع وحس
في المعاملة ترفع الإنسان عن ضيق الأفق وعن ضيق الصدر وعن إلزام ما لا يدرم
وإنكار ما أقرته السمة أو تقرير ما أنكرته. وهذا نعلم ما مضى عليه الصحب
الأكرامون في حياة المصطفى محمد فيقول قائلهم عدونا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من منى إلى عرفات منا الملبى، ومن المكتر، أما هو فلزم التلبية إلى أن
رمى الجمرة.. وهو بين أظهرهم لم يستكر على أحد تكبيراً ولا ذكراً ولا نوعاً من
أنواع التلبية التي ليس فيها شيء مما يخالف الشريعة.

فهذا هو الهدي البوي الذي يجب المسار عليه بلا تفريط ولا إفراط، بلا غلو
ولا إهمال وإنزال الأشياء في منازلتها.. وفرق بين المحرم وبين المكروه والمباح..
وفرق بين المدب وبين الواجب المفروض.. وفرق في كل ذلك بين المجمع عليه

(١) رواد مسلم في كتاب الحج باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة (الحديث ١٢٨٤)

وغير المُجمّع عليه . فتعلّمنا الشريعة بذلك تعاملًا وسطيًا حساً معتدلاً قوياً مع بعضنا البعض فلا تكون المذهبية أساس اختلاف ولا تمارع ولا تدعص ولا تشاتم ولا شحناء، بل تكون سبب اتساع وقوة ارتباط وإدراك دلائل وتوسيع وسائل وتقويم شمائل وشرّ فصائل وتعطياً للأصل الذي أحدث هذه النظرات القويمات الواسعات.

ومن المعلوم أن ما حاء من الصوص فكان قطعي الثبوت قطعي الدلالة لا يتأتى الخروج عنه لأحد بحال من الأحوال من كل من بلغه ذلك البص في داك الحال، وهو حال قطعية الثبوت وقطعية الدلالة.. وبذلك نعلم معنى من سعة الشريعة في هذا المجال، فترحب صدروا بمختلف أهل المذاهب ممن لا يشتر فساداً ولا يُقيم عباداً ولا يبعث صرّاً ولا يجرح عن تجميع عليه في دين الله تبارك وتعالى.

وبذلك أيضاً نعرف أنه إن اتسعت لغيرنا ممن لم يُسلم، وأقمنا الحوار والنقاش والمساءلة والبيان وإيضاح الأدلة، فمع من اتفق معنا في أصل الأصول وفي الأمر المهم الأعظم من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أفصح وأشرع في التعامل معه والتفاهم معه، وفي الاستفادة منه والإفادة له

هذا مقتضى الترية السوية التي ربي عليها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هذه الأمة، وبهذا الأساس يذهب الناس ويخس الخناس ويرول الوسواس الذي

يعالج كثيراً من القلوب والنفوس، فيأيد بعض الناس عن بعض في وحوشهم
اقترايهم ونعاويهم وتكاتفهم وتساعدهم على الخيرات التي يمكنهم نشرها في هذا
الوجود.

ولما سُئل بعض أهل الحكمة من الدعاة الصالحين عن الفرق بين جماعته،
وجماعة أخرى في نفس البلد من أهل الدين؟ قال: الفرق أن مقرّنا في موضع كذا
ومقرهم في شارع كذا من البلد. أي إن اتحدنا في الأصل والمقصد، فقليل له: أهم
لهم سعي في بناء المساجد ولا يرى ذلك في جماعتكم؟ فقال: نحتاج إلى بناء
المساجد ونحتاج إلى إيمان المصلين إليها.. فهم يسبون ونحن نوقد المصلين، فيكمل
بعضنا بعضاً. وخرج عما يعلق بالقبوب من شر الوسواس والتعاقد بين الناس.

سأل الحق أن يثبتنا على الوجهة الصحيحة في فهم الشريعة، وأن يرزقنا
الأدب معه ومع عباده من أجله وبالله التوفيق.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع والعشرون:

وجوب الاعتناء بالخاتمة

الحمد لله الملك الكريم، وصلى الله وسلم على عبده المصطفى ذي القدر
العظيم، وعلى آله وصحبه ومن تابعه على صراطه المستقيم

أما بعد: فإن من حملة ما يلزم الإنسان في الاستفادة من كنوز مملكة قلبه
وأعضائه أن يكون على انتباه من شؤون الخواصم للأعمال، للأيام، للأشهر،
للأشهر، للسنوات يلمح بذلك فصل الله عليه في أن نحسن له حاتمة العمر، وقد
قال صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بخواتيمها»

اهتمام صالحى الأمة بطلب حسن الخاتمة

اهتم الأكياس من عقلاء الأمة من أرباب العلم والفصل بشأن الخاتمة كثيراً،
والتوا على الله في حسن الخاتمة، ونكوا كثيراً من خوف سوء الخاتمة ومن تأمل
تقلب القلوب وتحوّل أحوال الإنسان، علم أنه لا يقوى على أن يحتم عمره شيء
إلا أن يتفصل الله عليه بحسن الخاتمة، وإن كان يموت المرء غافاً على ما عاش
عليه، أي على ما كان غالباً على قلبه ووجهته في ماضي أيامه، ولكن مع ذلك فإن
مقلب القلوب بيدي لنا عتائب لكون دائماً على أدب معه، ولجوء إليه، وسؤال
لحسن الخاتمة؛ وإن الذي أكرم بالانتباه من خاتمة يومه وليلته، وخاتمة أسبوعه

وشهره، وخاتمة عامه، وخاتمة صلاته أو قراءته أو دعائه أو أي شيء من أعماله الأخرى حرّياً بأن يحود الله عليه بحسن خاتمة عمره، ويحسّن حاله عند لقائه

فمن هنا وجب صرفُ العناية إلى خواتيم الأعمال، وفي الحديث «إذا أوى الرجلُ إلى فراشه ابتدره ملكٌ وشيطان، فيقول الملك: اختتم بخير، ويقول الشيطان: اختتم بشر»، فأيهما أصغى له علب عليه وأحذه، فإما أن تُختَمَ الصَّحيفة في اليوم واللييلة بخير وإما أن تُختَمَ بشر والعياذ بالله تعالى.

تأمل خواتيم أيامك قبيل العروب، وانظر إلى أمر الله بالتسبيح قبل العروب تدرك نصيباً من معنى حسن الخاتمة . وانظر إلى ثناء الله على المستغفرين بالأسحار تدرك معنى حسن ختم الليالي.

وأحسن خواتيم صلواتك فكر حاضر القلب منتهاً في كل الصلاة وعدد الخاتمة بعناية وكذلك في القراءة وبقية الأعمال الصالحة.. وتأمل شهورك ومرورها وتحسين ختمها. وتأمل أن نبئك في مثل رمضان يحتهد أكثر في خاتمه . ولكن ترى كثيراً من أهل الغفلة ربما احتهدوا في أول الشهر فإذا حاءت خواتيمه جعلت للأسواق والملاهي أو لإعداد الملابس التي يُتباهى بها في غفلة عن أدب اللباس في الشريعة، فلا يحسبون خاتمة رمضان. وربما كان أحدهم في ليلة القدر وتمتد عيه إلى نظرة حرام أو يرلُ لسانه بكلمة سوء، أو يقوم بمنازعة أحد أو

(١) رواه السني في كتاب عمل اليوم والليلة - باب ما يقول إذا أنه من صامه (الحديث ١٠٦٨٩) ومن حبان

مقاطعة أحد من أرحامه أو أدى أحد من حيرانه، فكم يقوته من الخير في الليلة التي قال عنها رسول الله: «مَنْ حَرَمَهَا فَقَدْ حَرَّمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَلَا يُجْرَمُ خَيْرُهَا إِلَّا مُحْرَمٌ»، فيسعي للإنسان أن يكون حسن الرُقْبِ هاء، وأن يودّع شهره هذا خاصة وبقيّة الأشهر عامة بتحقيق المودة وتحقيق الانكسار لله، وتوسيع أهمية إقامة أمر الله، والطمع فيما عند الله، والخوف من الله، والتخلّي بأداب رسول الله والإتساع لهدية صلى الله عليه وسلم فيخرج من الشهر بالعزيمة القوية والأخلاق السوية، ويظهر عليه أثر ذلك بعد الشهر فيكون علامة القول وثباتاً لأن تحسن له الخاتمة عند الموت وأن يُثَبَّتَ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُصِلُ اللَّهُ إِلَيْهِمُ السَّلَامَ﴾ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿

آداب تساعد على حسن الخاتمة

نددنا الشارع إلى آداب تتعلق بالخاتمة فمنها ما يتعلق بريرة المريض، وذلك بتوسيع رحائه في الله إن ظهر أنه أقرب إلى الانتقال من الدنيا ومنها قراءة سورة يس عند الإحساس بحروح الروح، ومنها تلقين المحتضر لا إله إلا الله دون إلحاح ولا قول (قُلْ) خشية أن يترغم فيحتم له برفضها، وإذا رُئيت منه الإشارة أو سمعت منه العبارة بقول لا إله إلا الله فليتوقف إلا إذا تكلم بكلام أحسي، ولا

تترك في المزل الذي يُختصر فيه صورة محسمة ولا امرأة مكشوفة الرأس، وإن ذلك مما يجمع دخول ملائكة الرحمة.. يفعل كل ذلك نعرُصاً لأن تكون الخاتمة حسنة وإنه لتعرض النفس في المحاولات الأخيرة لعدو الله لكل امرئ عند خروج روحه، وربما تصور له إبليس بصورة أحد ممن مات قلبه ممن يعرفهم فيُغويه ويقول: قد متُ قلبك ووحدت أن أحسن الأديان دين الصراية أو دين اليهودية أو غير ذلك . فهل أنت عليه؟ فقد يحبه بروحه أن نعم! ويموت على غير الملة والعياذ بالله.. أعاذنا الله من سوء الخاتمة.

التعلق بالذنوب من أسباب الموت على سوء الخاتمة

كثيراً ما يأتي للإنسان نتائج أعمالهم وخصوصاً التي استسهلوا بها من المعاصي في ساعة الاحتضار، وربما وقعت سبباً لسوء الخاتمة. كما قالوا للذي عجز عن الطق بـ لا إله إلا الله مع أنه يتكلم بالكلام الآخر عند الموت . ما بالك؟! فقال: منعني عنها نظرة حرام لم أتب منها ولم أحرن عليها. فتدث النظره حيل بيه وبين لا إله إلا الله عند الموت.

وليس من الضروري أن يقول المسلم عند الموت لا إله إلا الله، فإن اعتقاده بها كافي لكن إن وفق للنطق بها فكانت آخر ما حُتمت به صحائفه كان له ميرة في دخول الجنة بغير حساب لقوله صلى الله عليه وسلم «من كان آخر كلامه لا إله

إلا الله دخل الجنة» أي مع السابقين، فتكون الخصوصية لمن حُتم عمره بهذه الكلمة الطيبة، التي يسعى أن لا يفعل عنها وأن يكثر منها طوال حياته، وأن يتأمل معانيها، فإنها الموصلة إلى حقيقة التوحيد في الممارس الغلاة من المعرفة بالملك الأعلى، فهي أفضل الكلمات وحررها، وأفضل الذكر وأعظمه، ومهي أكثر الإنسان منها بحصور قلب أثمرت أواراً في قلبه وتصميةً لله ونسمة عن شؤم دنه لذا جاء في الحديث «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»، ويسعى رفع الصوت بها في الأسواق، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»^(١) وبذلك تعلم الأرباح الكبيرة في المتعلمين بالكور التي جاءت بها الشريعة المطهرة، وبذلك أيضاً يلتفت بطورك إلى اختيار أقوال ترحو أن يحسم لث بها.. فإنك ترى في حياة الناس أن من طرأ عليه عيب حسه كالمحزون مثلاً فإنه يردد ما كان قلبه متعلقاً به قبل برول ذلك الحادث به. فكذلك الخال عند سكرة

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد - باب في النقص (الحديث ٣١١٦) - الحاكم عن معاذ بن صالح (صحيح) (مسند)

(٢) رواه مالك في الموطأ كتاب الحج باب جامع الحج (الحديث ٢٥٥)

(٣) رواه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما يقول - دخل بيوت (الحديث ٣٤٨٨)، والحاكم في المستدرج عن عمر بن الخطاب

الموت، إنها يؤخذ قلبك إلى ما كان غالباً عليه من قبل فتجد الذي كان معلقاً بالسيارات لو حزن يصبح بين الناس يطر إلى السيارات ويمثل مشيها.. ومن كان معلقاً بالصلاة أو عملٍ حير رأته بعد حنوه أيضاً مكرراً له وعاملاً به، وكذلك حالت عندما تفجعك سكرة الموت في كان عالاً على قلبك تذكره وتذهب إليه.

فينبغي أن تلتفت منك الأنظار إلى موضوع الخواتيم فتحسين خواتيم الأشهر المارة بك وخواتيم أعمالك رجاء حسن حاتمة عمرك، وبذلك تكون في نصيب من الأمان من العُجب، فإن الإنسان إذا تذكر خطر الحاتمة رال عه العُجب بعمله فإنه لا يدري بتم يُحتم له وإن الإعظم لأمر الله من أقوى أسباب حسن الحاتمة، كما أن الإضرار بالناس والتساهل بحقوقهم وإدعاء الإنسان ما ليس له خصوصاً من المعرفة بالدين ومعاني الإيمان من أقوى أسباب سوء الحاتمة عند الموت

فكن يا أيها المؤمن مستقيماً من عمرك، واحذر كيد الشيطان بأن يعرك فتعجب ويعطك عن أمر الحاتمة التي غيب أمرها لتكون على قدم الأدب والخشية من الله حتى يلقاه فيؤمنا ويرضى عنا رضى لا سخط بعده. اللهم إنا نسألك التوفيق لما تحب وأن تحسن لنا الخواتيم، اللهم أحسن عاقبتنا وحائتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن والعشرون:

الكف عن المحرمات حقيقة التقوى وأساس النجاة

الحمد لله الملك الرحيم، الرقيب حسب نكته، الخود المعين الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، فمن نسب به محمداً بهدي ودين حق، وهتدي به كل ذي قلب سليم، وثبت به لأقدم على الصراط المستقيم، منهم صل وسلم على سيد محمد وعلى آله وصحبه وعلل حصره فتبه من أحبه أما بعد، فإن المؤمن في عالم امسكه الي به لله الله من القلب والأعضاء يجب أن يدرك حقيقة من الحقائق، وهي أن مسأله كف عن المحرمات هي نتيجته لصدقه في العادة واستعمله القلب والأعضاء في الطاعة، وأنها علامة لتحقق الإيمان، وأنها الوسيلة للفرار من الله بالاصواب، فمسأله الكف عن المحرمات هي التي يقوم بها التمييز بين الصادق والسواد بين السبب والذريع الخاضع وسوره وما دار البحث بين بعض أكبر الأمة في زمن السبعين وناهي التسعين، اني الاعتراف الصالحة أفضل؟ فأحدوا يذكرون أنواعاً من عبادات حتى قد بعضهم فصل العبادات ترك المعاصي فقالوا تم الأمر تم الأمر، فصل الطاعات ترك المعاصي

من المهمات حفظ الغم والفرج

بتعرض الإنسان للترك والكف بالقلب والحوارج عن أصناف من المحرمات حرمها الله على القلب من كبر وعجب ورياء وعزور وحسد وحقد وغيرها من معاصي القلب، وعلى كل عضو من الأعضاء إلا أنه يتميز من بين الأعضاء

عصوان لخطيئتهما وأحدهما على مسار اخادة بتحقيق عبادة. وتحصل السعادة،
 وهيئة الانسان لمخسى وريادة وذلك ما جاء في حديث عن المصطفى محمد
 صلى الله عليه وسلم وقد سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار فقال (الأجوفان:
 الفم والفرج) فيمير هذان العصوان بالأثر القوي لمنع في رسامي فيها حرم الله
 موصلاً إلى شفاء وموحاً للعذاب، وفي كنهها عي حرم الله سبباً للسعادة واصلاً
 في حيازة الاقتراب وعظيم الثواب

فيعى للمؤمن أن يلاحظ بصفه من الصفه الإيميه التي يزناها في تحس
 الكف في نفسه وفرحه والتم يحوي السر فيأتي إليه أمر الكلام
 والتلفطات، وأمر المطعومات والمشروبات.

وقد ذكر الحق تبارك وتعالى أوصاف عباده المؤمنين ورثة الفردوس فجعل
 يقول عنهم: وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوجُهُمْ حَافِظُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَنَعَتْ
 أَيْمَانُهُمْ فَلَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١١﴾ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١٢﴾
 وقد سماهم عاديين أي متعدين للحدود متجاوزين لها خارجين عن طور
 إسمائيتهم وشريعهم وأدبهم مع حالهم، وفي هذا مظهر من مظهر التهديد التي
 تنصل بحمية القيم وحقيقة الكرامة، وبارتقاء الإنسان عن أن يؤخذ بالملذات
 القصيرة الوقتية الآلية الخفيفة عن حقيقة كرامته وشريف مرئته وعظيم قيمه
 وخطر مصيره وعن الملك المقيم والعيم الدائم.

على أنه يجري في هذا الخائب تحبذ أخود من قبل إبليس وإعداد الإساءة والكرامة وإقصية حشد أولئك أخود في أسعدت واستدرة الشهوات المحرمات بالوسائل المحتشقات، لا يخدمون بذلك محمدا ولا إسمه ويكتمهم عداؤها والمحاربون لكرامتها.

الإحسان في الكف عن المحرمات

إن الميرة التي يتحقق بها التقي هي الكف عن المحرمات، بدلت يجب أن يخرج الإنسان من حصنة عبادته، ومن مثل صدمه له مضار وفداه منه، ومن تصبئه بالقراءات أو الصدقات أو العمره أو الحج إلى غير ذلك إلى ستفادته بغيره في أمر هذا الكف وإحسانه، فكما أن الإنسان يصب بإحسان العمل فكذلك يصب بإحسان الترك والانهاء والإسعاد، فيحسن في كفه عن المحرمات وإسعاده منها وفيما يتعلق بها بحسن صدده من حفظ القروح حتى لا يصب على حفظها سبحانه من الحري الذي يجري لله به الدين سترسوا في عمل الشهوات دون ماله أيثار للذة عاجلة احترهم بها حمار السموات والأرض من حشرهم متلاصعين لقروحهم، تشتعل وجوههم ناراً فصيحة هم أمام الأشهاد، ثم عيقهم في النار يسيل من قروحهم القيح والصديد إلى غير ذلك مما جاء في خبر عن أمير المؤمنين على أنباء ربنا الأكبر سبحانه وتعالى".

النهي عن مقدمات الحرام

يتصل بإحسان الكف عن الحرام الحماية من مقدماته، وفيما يتعلق بحفظ الفرح جاء الأمر بالكف عن مقدماته، مثل الطر، وذلك في خص به دون سواه من نية الأعمال، فإن بداية الإدراك سبب الطر والاسترسال في الفكر الذي يبيح الرعة في الفعل، قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُبْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أُبْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُتْبِعْنَ مِنْ رِبْتِهِنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ ۝ ٥٠ ۝ ٥١ ۝ ٥٢ إلى آخر الآية . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : الطرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، يقول الله من تركها من محافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه، فيتحرر له الجزاء والأثر عذلاً، ويكون له مذكوراً من الجزاء أمراً عظيماً كريماً هائلاً.

ثم للوقوف في الفعل ثلاث مراحل يصعب انفكاك بعضها عن بعض، على أنه يحور لنا أن نطر إلى عناصر أساس، وإلى حدائقهم، وإلى مختلف أمواهم، من سيارات أو ثياب أو عر ذلك، ولم يشرع الحق لنا عص الصر كما شرعه في حاب المثيرات لشهوة الفرح، كما أن الرعة في تحصيل مثل ذلك من أمثلة الأموال جائر، لكن امتداد اليد لأن تأخذ حق الغير محرم؛ لكن يصعب فصل المراحل الثلاث في

كَيْ يُوْثِرَ الْفَكْرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي شُؤْرٍ مِنْ أَشْهُوتٍ، فَيَسْعَى أَنْ يَسْمُوَ الْأَسْبَابَ
 بِفِكْرِهِ كَيْ حَظَرَ عَلَيْهِ حَاطَرٌ فَيَصْرِفُهُ بِمَذْكَرٍ وَالْمَذْكَرُ فِي الْمَصِيرِ وَالْعَاقِبَةِ وَالْإِهْلَةِ
 وَالْوُقُوفِ بَيْنَ بَدْيٍ مِنْ يَحْسَبُكَ وَهُوَ الْأَقْدَرُ عَيْتُكَ الْأَعْلَمُ بِكَ امْحِطْ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِمَا حَلِّ حِلَالِهِ، وَكَيْفَ سَتَكُونُ حَالَتُكَ إِذَا سَأَلْتُكَ الْمَعْتِ؟ وَهِيَ بَطَرَتْ؟ فَكَيْفَ
 بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ؟ إِنْ حَاطَ ذَلِكَ بِفِكْرٍ فَإِنَّ نَعْيَ هَذَا وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
 أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

والدلالة: الكلام في تعدد الشهوات المحرمات وخصوص فيها، وبه رآه الناس
كما أحرى صلى الله عليه وسلم في حديث «ورنا اللسان المطوق» ، وبه صدق
الإسناد في حفظ العين عن البظر، واللسان عن الكلام، والفتى عن تنكيره.

(۱) مُسَدِّدُ ابْنِ حُدَيْثٍ يَدْرِي أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى ابْنِ عَرَبٍ (يعني ابن عرابي) وَ عَلَى سَطْرِهِ - عَجَبٌ حَقِي

(٧) وفي نسخة في كتاب الأساس باب ما أحسن من يدج (خروج) ١٥٩٨٩، وفي نسخة في كتاب

والنظر عن كثرة الشغ، كان أحذر بأن يكون محفوظاً في حاسب هذه الفصبة،
 سلباً من أفعالها الكثيرة التي هي محط الاتحده عند كثير من الذين يريدون الفساد في
 الأرض، قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُبُلَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ
 وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَنْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٠٠﴾ فيه بيان إحيى بين حقيقة كثير
 مما يراوله الناس في حياتهم أمام المعريات والمثيرات والوسائل المؤدية إلى احرام
 من الأشكال والأرياء كل ذلك جاء به الدين الإلهي ليعذر ولنكون على بصيرة،
 ولناحد ما يجمع ويدع ما يضر ونكون بدت من المتقين. وقد شغل رسول الله عن
 أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق»

الهمم رزقاً حقيقة التقوى، وحسن الأخلاق، وحسباً الصواحب ما طهر منها
 وما بطن، واحملنا من الصادقين، ولا تعرض لعداب ولا فتنة يا رب العالمين
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم..
 والحمد لله رب العالمين .

الدرس التاسع والعشرون:

مكانة النية والعزيمة

الحمد لله الملك الكريم، العظيم ارحم، شَهِدَ أَنَّهُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَشَهِدَ أَنَّ سَيِّدًا وَسَيًّا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، رَسَلَهُ يَهْدِي
وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

أما بعد. فإن للإنسان في عدم قننه وحوارحه نعلم مكانة ومزله المقصد
والإرادة والنية والعزم، فكم تقوّم انقصد عد الإنسان والعزيمة من آثار
حميدات، وفوائد كثرات، ومضاعف حليلات ديوبت وأحرويت
وكم للنيات السيئات والعزم على المحالقات من آثار شيعاب، وتعرّض
للآفات في الطاهر والباطن، وتعرّض لعصب الحمار ولعداب الدار وغير ذلك من
الشدائد والأهوال في الدنيا والمآل.

من علامات الصحة والقنوت في العبادة التي بعد لله بها، صلاة أو قراءه أو
صوماً أو حجّاً أو عمرة أن يأتي لدى قلبه في مهنة عمله عزم صادق على فعل
الطاعات، والاطلاق في النافعات والمقدمات، وكتساب الحسنات، وتصميّة بالعب
على احتساب السيئات والمحالقات ولأثر هذه لسان كان يقول صلحاء الأمة من
القرون الأولى من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله له سبعين باباً من ثواب

التوفيق، ومن فتح على نفسه باب بية سينة فتح الله عليه سبعين باباً من أبواب الخلدان.. والعباذ بالله تبارك وتعالى.

فكم أثرت البيات! وكم أثرت العرائم! وكم كد من اشتغالات لعريمة الإنسان في مختلف شؤونه وأحواله، وقد صمم على أمر وعزم عليه فثمة وجهته تدور عمائد كثيرة وتتحقق شؤون كثيرة، وكذلك إذا انحطت به مهمة وبوى السوء كم يحذر إلى الأسواء وكم تتسارع إليه الطلعات والفاطحات والسينات.

مقومات حسن النية وقوة العريمة

يجب على المؤمن أن يتعلم حسن البية وقوة العريمة وصدق الوجهة فيه يريد، وبذلك جاءت المقومات والأسباب التي تدعو إلى تثبيت ثبوت العرائم من خلال ما شرع لنا من أعمال وأدعية وقراءات، وفي كل صلاة توجه: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» . وفي هذا بحث همة الذي يقرأ الدعاء بحضور قلب إلى أن يعزم على اتساع ومشاهدة الدرس أنعم الله عليهم من السيئين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وأن يكون على مقربة في الاقتداء بهم وانتشأهم والأحد لأوصافهم وأحوالهم، كما يكون على حذر من شرور المعصوب عليهم والصالحين من مختلف فئات الفاحرين والكافرين الذين يعيشون معه على ظهر الأرض، فيتميز في الخلق والوجهة والنية بمقتضى الشرع الإلهي والمهج الرباني، فذلك سموً وعلوً يرتفع به عن حضيض

ما ينحطُّ فيه أولئك من تنُّع الشهوات وإيثار العاجلات، ومن تصييع الغم الساميات فهي كل ذلك يتعلم المؤمن تصحيح العزم وتصحيح السيرة ويقول اسرسلان الشافعي مشيراً إلى معنى حديث «إنما الأعمال بالنيات، وإياها لكل امرئ ما نوى»^(١): فصَحَّح النية قبل العمل ..

توسيع النية وإخلاصها لله

يقول صلى الله عليه وسلم «نية المؤمن خيرٌ من عمله» وذلك أنه لا يُدَاحس النية الصادقة شيءٌ من الرياء والعجب عالى، سيما يتعرض العمل إذا قدم به شيء، من تلك المثالب والقوادح التي ربما أحصت عليه الثواب وهذا أمر والأمر الثاني: مهم صحت هذه السيرة فإن الله تعالى يشه عليها ثواب عظيم كبير لا يساويه ثواب نفس العمل.

والمعنى الثالث أن المؤمن نعظم نيته وتوسع، فهو يبوي ما لا يقدر على عمله متمنياً أن يعمل له لو تمكن واستطاع، فمهما أحسن ومهما أعطى ومهما وهب وكره بالعهد ومهما أحسن الحوار ومهما واصل الأرحام ومهما أعان منهوق أو فرج على مكروب، فجميع أعماله تلك تقصُر دون نيته، فهو يبوي ويريد أن يعمل أكثر من ذلك وأعظم من ذلك وأفضل من ذلك، فهو يعمل المستطاع له، ونيته أكبر من

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب كيف كان بدء الخلق، وفيه حديث «...»

ومسلم في كتاب الإمارة باب: قوله صلى الله عليه وسلم: «إياها الأعمال بالنية» (الحديث ١٩٠٧)

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد

ذلك، بخلاف المنافق فإنه مهم صدر على صهر أعصاته من فعل خير فيته سينة لا
يود أن يفعل ذلك، وليس له فيه مقصد حسن، لكن مؤمن دائماً بربه حير من
عمله . فعمله خير ولكن بربه حير من ذلك العمل، وأعظم من ذلك العمل، فهو
يعمل بقدر المستطاع وبسته أوسع لما وقر في قلبه من قصد وجه ربه، ومن أن يشور
في المندره في ما شرع به من العمل الصالح والدخول في دائره المتحرر الرابع

وهذا يجعل المؤمن في عرائمه ووجهاته على ملاحظة حسنة وعلى تقوية وعلى
توسيع نطاق هذه النية وعلى بحث عن نقيتها عن اشوائ وإخلاصها لوجه
الله تبارك وتعالى وهذا تظهر آثار القبول لطاعات والعبادات واخروج من
المواسم الطيبة الصالحات، وينتهي الإنسان لأن يكون في عيد أبداً، وذلك أن كل
يوم ثبت فيه انعدم على منهج الله الأقوم، فقد أكرم صاحبه سعة هي له عيد وأن
عيد، وفي ذلك جاء عن سيدنا علي بن أبي طالب وقد هني بالعيد اليوم عيد
وأمن عيد وعداً إن شاء الله عيد، وكل يوم لا يعصي الله فيه فهو عيد، لأنه
موحى للمريد ومقدم إلى مثنويات القرب من العزير الحميد، وتلك العزائم
الصادقات تفتح أبواب التوفيق وتتسارع الرحمة إلى صاحب تلك الية

فلا تحل على نفسك بتوسيع بينك وتقويتها في فعل الصالحات في عموم
شؤوك وأحوالك، وخصص وفصل منها ما أنت بصدده مما تقدر عليه، وما
تراوله، وما هو محيط بك.. سواء فيما يتعلق بذاتك وشخصك، وما يتعلق بشأنك

مع أسرته وولده، وما يتعلق بشأن مجتمع الذي تعيش فيه، ومن تعمل معهم في الوظيفة أو المرفق أو العمل ومختلف الشؤون، فهناك بذلك تحيز كبير من كبر الفصل الإلهي بسبب صدق بيك وإخلاصك في فصدق لوحده الله تعالى، وهي حيلة وناس يقنحونه المؤمن لا تسرع عنه عند الموت ويبقى معه إلى يوم الحساب. أما ما يتربس به من الحرية الظاهرة فمهي كن سدا وحرا وما سواه فلا بد من تسرع عنه، ولكن كم قال رب تارك ونعال «ولباس لتقوى ذلك حذر».

بركة الأعمال في النيات

وقد فتح الله لنا أبواب هذه المسات، فصار الواحد منا يقدر في العمل الصالح أن يعدد النيات الصالحة فيتصاعف بذلك أجره، وفي هذا فاء إلى ركت العمل الصديقين نياتهم بسبب سعة الباب وكثرة الباب، فلهذه في دوحه رحمة ورحمة نيات صالحات.. فيمن يلاعن في الطريق، في يداون به من سلام، وفي اساده إلى المصافحة التي يذهب بها العن، وفي تلاوة الكتاب العربي ستحر حالمعنوه الكريمة، واستمظراً للرحمة العظيمة، ونشئة للقلب عن اشوائ، وعرض على المعاني والعجائب، وإدراكاً لسر التوحه، ومرحاً للقلب والخسدا لكاتب ومثله وإرشاداته وما فيه من توحه وسه إلى غير ذلك من السات التي تجتمع في مثل قراءة القرآن، فإذا كان مع حلقة أصبحت لها نيات إسماع العبر للآيات، ونعزض لرحمة الله تعالى بيراد المعنى الذي يرل على قلبه ويرل على قلوب من يسمعه

ليكون ذلك سبباً في تقوية إدراك المعاني وحلّوها في القلوب، وأن يُذكر في العالم الأعلى كما وعد الحق تبارك وتعالى، وأن ينال من أن تتغشاه الرحمة وتزل عليه السكينة وتحفّه الملائكة بصياً من الرقة والتقية للقلب والصمير، والقرب من العلي الكبير سبحانه وتعالى.. وهكذا.

حتى يأتي الإنسان إلى العادات وإلى المباحات فتؤثر فيها النيات. فالنية تؤثر في المباحات وتردّها إلى طاعات، كما أنها نقدح في الطاعات إذا فسدت تعرّص صاحبها إلى حبط الثواب أو الوقوع في العقاب؛ ولا تؤثر في المحرمات شيئاً لأن ما كان نجس العير لا يطهر بالعسل، فمن أراد أن يطهر نجاسة عيبة بتغسيلها فلا تطهر، وكذلك لا تؤثر النية فيما حرم الله على الإنسان شيئاً، وبكل ذلك تعلم ما فتح لك من الباب الواسع في تحسّير نيتك فلا تحل على نفسك، واستقبل عمرك وكل يوم من أيامك وكل ليلة من لياليك بنياتٍ صالحة وعزيمة صادقة في الاستقامة وفعل الخير والابتعاد عن الشر والكف عنه تُوفّق وتُعان وتُسدّد.

اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الدروس الثلاثون:

النظر إلى العيد ومعانيه

الحمد لله هدأ تشريح به الصدور، وصلى لله وسلم على عبده المصطفى
 اهادي سيدنا محمد البر الشكور، وعلى انه وصحه وبانبيهم بإحسان من كل دي
 قلب معمور.

أما بعد: فإن نظرة أهل الإيمان في هذه المملكة الواسعة للقلب والأعضاء إلى
 معنى الأعياد وتحصيل الفوائد والإمداد من حصرة الملك الحوادث نظرة عميقة
 ودقيقة وواسعة لمن انصع بصعة الله * صِنْعَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِنْعَةً
 وَمَنْ أَحْسَنُ لَهُ عِبَادُونَ * وقد أسلفنا ذكر الأثر عن سيدنا علي بن أبي طالب في
 قوله: كل يوم لا نعبي الله فهو عيد.

ومن هنا يأتي النظر إلى الأعياد بنظر تصاريح متعددة، فحدد أن اليومين الأصيين
 الرئيسين للأعياد هما يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى في الشهر يبعه المصهر،
 وحُصَا بخصوصيات وميراث منها سيرة إشهار التكبير وإعلانه في ليلة العيد،
 وتعلق ذلك بالصلوات بالنسبة لعيد الأضحى قال تعالى * وَلْتُكْمَلُوا الْعِدَّةَ *
 أي عدة رمضان * وَلْتُكْمَلُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ * فجعل شعار العيد
 التكبير تقوية لهذا المعنى اللطيف العرير في إعظام الله العلي الكبير حل حاله،

واشراع ما يحجب عن ذلك من كل القواطع التي تقطع الإنسان عن إدراك عظمة صلته بالله، وتحمله على حسن الاستعداد لقبولته والمصير إليه بآرك وتعالى.

حسن النظر في معنى العيد

جعل شعار العيد التكبير، ونذبا في عيد الفطر والأضحى إلى صلاة مخصوصة، ويذكر بعض المفسرين من حملة الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ ﴾ أي أخرج ركة الفطر ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ بالتكبير ﴿ فَصَلَّى ﴾ صلاة العيد، وكذلك في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَّرْ ﴾ أي صلاة عيد الأضحى وبحر الأضحية. وهذا من حملة المعاني والأقوال عند المفسرين.

هذه الطرة إلى الأعياد به قد أشربنا به سابقاً في قول عيسى بن مريم ﴿ رَبَّنَا أَبْرَأْ عَلَيْنَا مَا بَدَأْتَ مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ . . . تَبْنِي لَنَا حقيقة العيد عند المؤمن، وفي ذلك كان يقول حكماءهم ليس العيد من لس الحديد، لكن العيد من طاعته تزيد ليس العيد لمن تجمل بالملبس والمركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب.

وبذلك تعلم أن المؤمن يتهاى لحياة أنواع من الأعياد بوسع من الإمداد من حصرة ربه، فيتوالى عليه المرح بمائض فصل الله عليه بما يتعرض له من ذلك الفضل بواسطة العمل والعدل والعطاء والتصحية واغتنام الأوقات والساعات ومرور الزمان به، حتى يتعرض بعد ذلك لعيد أكبر وهو يوم لقاء الله والله

راضٍ عنه، بشره برحمة منه ورضوانٍ وحبابٍ فيها يعيم مقيم - يذوق على حسن الحائمة والمحبة للقاء الله ومحبة الله للقاءه، هذا عند ذكر وعطاء من الله أعظم وأعمر، يجتمع فيه نتائج كل ما صح أنه عند على المبران والنظر الإيماني وبران الإيماني ليس التحمل شيء من المظاهر وحر حارف ولكن يدر ث موحيات رص الذي بيده الأمر، وتحقيق وصية بين هذا الإنسان وبين عدم السر والخهر، يسعد به في الدنيا والآخر، ويوم الحشر، ويرافق به أصفاء الحق بدين فرمهم إليه رعى

الأعياد التي تتوالى على المؤمن بعد موته

إذا أكرم الإنسان بعد حسن الحائمة والأعياد متوالية غير متناهية بعد ذلك، فيمائل روحه بالروح والريحان حتى إذا احتضنه الناس بوضعه في القبر بدأت جنازته: قدّموني قدموني إلى حبة ورضوان وربّ غير عصيان، كما أن الأمر يكون شديداً على الذي لا يدرك الحسن عند الحائمة ولم يثبت له القدم عند الملاقاة والمواجهة، فتادي جنازته: يا ويلها أين تذهبون بها؟

ثم بعد ذلك التثبت عند السؤال في القبر، وبعد ذلك كما ثبت في الحديث الشريف أنه أوحى إليه صلى الله عليه وسلم عن فتنة الناس في القبر * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * ثم بعد

(١) شارة إلى حديث بني رواه الشيخ في صحيحه عن أبي سعيد خديجي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أوصعت جسد، وحملها روح، عن عذبة في قبر كذا صاحب قدّموني * كذا عن صاحبه نائب الأئمة يا ويلها، يا ويلها، سمع صرير كبر شيء لا لاسن، وير سمع (سار صغر)

ذلك ما يكون في يوم البعث والقيام ومع أي زمرة يُحشر؟ فمهما كان مع فئات
 الإصلاح والإصلاح من الأمنيين من عذاب الله كان في عيد، وفي الاستقلال بطل
 لواء الحمد عيد، وفي رحابة ميران الحسبات عيد، وفي أحد الكتب باليمين عيد،
 وفي تحسن العطف واللفظ من حصرة الله عند العرص عليه عيد، وأي عيد
 يُنادى بعده لقد سعد فلان من فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وفي ثبات قدمه
 عند المرور على الصراط وسرعة مروره عليه عيد، وفي رؤيته الجنة وما أعد الله مما
 لا عين رأت ولا أدرك سمعت ولا خطر على قلب بشر عيد، وفي دحوه الجنة وراء
 المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عيد، وهو القائل: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرَكُ جِلْقُ
 الْحَيَةِ فَيَمْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُونِي وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فخر»

ثم بعد ذلك يكرمون بالمريد من حصرة الله، قال تعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا
 وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وأنواع ذلك السعيم الذي لا يُحصى، والطر إلى وجهه الكريم
 حل وعلا، والعطاء الأوفى من حصرت سحابة وتعالى، كل ذلك عيد وأي عيد،
 ولا يزال العبد في مريد وفي جود من الحميد المجيد يبادره في كل يوم بما لم يحظر
 على ماله، وفي كل ساعة بما لم يكن في حباله، فانظر إلى حقيقة هذه الأعياد أين هي
 عند من لم يعرف معنى العيد إلا أن يتذكر حادثة من حوادث العمر القصير، ثم
 يكاد بعد ذلك في تعبده أن يطير بشيء من الحركات أو بشيء من التعبيرات، ثم

يقطع كل ذلك عن الخلد والدوام والبقاء، بل وعن حالته عند الموت وما بعد ذلك، فكم الفارق الكبير بين النظر إلى الأعياد هنا وهناك، تعلم بذلك أن الشريعة أوقفت أقدام متبعيها على مسلك رفيع شريف كريم وسبع ليس لغيرهم ممن لم يصدق في الإيثار ولم يتصل بالرحم حل حلاله

سمو المؤمن بعسن نظريته

إن هذه النظرة إلى معاني العيد هي يختص به أهل الوحيد وأهل الفرب من الحميد المحيد وأهل الإتياع للمصيح الرشيد وراء صفوة الله من العيد محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يمتثلون بمعاني من الشوق للقاء الله وإلى رؤية سيدنا محمد بن عبد الله، في الررخ وفي الجنة وفي يوم الحشر، وللإستقلال بطل لوائه والورود على حوصه المورود، وهذه الأشواق القلبية خصوصيات ومربى لأهل المراتب العلية وأهل بصاعة الإيثار العالية الرفيعة السنية، لا يجدها مافق ولا كافر، ولكنها أشواق فديسية طاهرة غنوية يختص الله بها من شاء من البرية، يدرك بها سر ما كان يردد سيدنا بلال عند وفاته وقد أحسنت روحته بموه فقالت: واحرره، ففتح عيبه وهو في سكرات الموت يقول ها بل واطرره، عداً تلقى الأجنة محمداً وحزبه، فما أعجب هذا الشوق الذي يرفع حال الإنسان إلى فوق، والذي يجعله على نظرية نديعة عربية في إدراك شأن الحياة والوفاة وامتداد نظره إلى ما بعد الوفاة.

دلت ما يكون في يوم البعث والشور ومع أي رمرة يُحشر؟! فمهما كان مع فئات
 الصلاح والفلاح من الآمين من عذاب الله كان في عيد، وفي الاستظلال بظل
 لواء أحمد عيد، وفي راحة مران الحسنات عيد، وفي أحد الكتب باليمين عيد،
 وفي حُسْن العطف واللفظ من حصرة الله عند العرض عليه عيد، وأي عيد
 يُبَادى بعده لقد سعد فلان بـ فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وفي ثبات قدمه
 عند المرور على الصراط وسرعة مروره عليه عيد، وفي رؤيته الجنة وما أعد الله مما
 لا عين رأت ولا أدب سمعت ولا خطر على قلب بشر عيد، وفي دخوله الجنة وراء
 المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عيد، وهو القائل: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحْرَكُ جِلْقُ
 الْجَنَّةِ فَيُفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيَدْخُلُيْهَا وَمَعِيَ ثِقَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فخر».

ثم بعد ذلك يُكرمون بالمريد من حصرة الله، قال تعالى: ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا
 وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ . . . وأنواع ذلك النعيم الذي لا يُحصى، والنظر إلى وجهه الكريم
 جل وعلا، والعطاء الأوفى من حصرته سبحانه وتعالى، كل ذلك عيدٌ وأي عيد،
 ولا يزال العبد في مزيد وفي جودٍ من الحميد المجيد يبادره في كل يوم بما لم يخطر
 على باله، وفي كل ساعة بما لم يكن في خياله، فاسطر إلى حقيقة هذه الأعياد أين هي
 عند من لم يعرف معنى العيد إلا أن يتذكر حادثة من حوادث العمر القصير، ثم
 يكاد بعد ذلك في تعبيره أن يطير شيء من الحركات أو شيء من التعبيرات، ثم

يقطع كل ذلك عن الحلد والدوام والبقاء، بل وعن حالته عند الموت وما بعد ذلك، فكم الفارق الكبير بين النظر إلى الأعياد ها وهاك، تعلم بذلك أن الشريعة أوقفت أقدام مُتبعيها على مسلك رفيع شريف كريم وسع ليس لغيرهم ممن لم يصدق في الإيمان ولم يتصل بالرحمن جل جلاله.

سمو المؤمن بحسن نظرته

إن هذه النظرة إلى معاني العيد مما يختص به أهل التوحيد وأهل القرب من الحميد المحيد وأهل الإتياع للمصالح الرشيد وراء صموة الله من العيد محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يمثلون بمعانٍ من الشوق للقاء الله وإلى رؤية سيدنا محمد بن عبد الله، في البرح وفي الحنة وفي يوم الحشر، وللإستطلاع بطر لوائه والورود على حوصه المورود، وهذه الأشواق القلبية حصوصيت ومرابا لأهل المراتب العلية وأهل بصاعه الإيمان العلية الرفيعة السية، لا يجدها مافق ولا كافر، ولكنها أشواق قدسية ظاهرة غلوة يختص الله بها من شاء من البرية، يدرك بها سر ما كان يردد سيدنا بلال عند وفاته وقد أحست روحته بموته فقالت: واحرنه، ففتح عينيه وهو في سكرات الموت يقول لها بل واطرباه، عداً بلقي الأحة محمداً وحرنه. فما أعجب هذا الشوق الذي يرفع حال الإنسان إلى فوق، والذي يجعله على نظرة بديعة غريبة في إدراك شأن الحياة والوفاة وامتداد نظره إلى ما بعد الوفاة.

فيجب أن نأخذ النصيب الأوفر من تقويم النظر في شأن هذه الأعياد التي تنارلنا في الدنيا وتتصل بشأن المعاد، حتى نكون على تأهلٍ لواسع الإمداد من حصرة الملك الخوادم، وحتى يسارع إلى فعل ما يوجب لإسعاد، وما يقتضي حياره الخير في التناد، وما يُنقى به القلب والفؤاد.

عسى الحق أن يجعل أياما وليالي أعيادا في التقرب منه، وفي الرضا منه، وفي العمل بطعته، وفي الريدة من الحُسات، وفي تكهير الدروب والسيئات حتى يُقصي سادك إلى عيد لقاء الله وهو راضٍ عنا إلى عبدٍ حسبي الحائمه، إلى الموت على الإيوان والإسلام.

ألا أيها المؤمن ما أعجب ما أوتيت في شأن هذا القلب والأعضاء.

ألا إنه يحق لك أن تُحسن المعاملة لتحسن لك المقابلة وتتحصل على شريف المواصلة من حضرة الوهاب رب الأرباب حتى يُدخلك الجنة مع الأحباب، أدخلنا الله حنّه بعير حساب. اللهم ثننا واررقنا الاستقامة، وأنجفنا بالكرامة، وامنحنا الرضوان، وعاملنا بما أنت أهله يا كريم يا منان.

وصلّى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

المحتوى

٥	المقدمة
٧	<u>الدرس الأول: الرابط بين الأعضاء والقلب</u>
٨	خاصية قلب الإنسان
٨	أساس العلاقة بين القلب والأعضاء
١١	حقيقة القلب وبيان مهمته
١٣	<u>الدرس الثاني: العبرة في ربط أعمال الجوارح بأحوال القلوب</u>
١٤	دلالة الربط بين القلب والجوارح
١٥	تقويم تصرفات المسلم
١٦	تقويم أعمال الجوارح على الرابطة الصحيحة بالقلب
١٩	<u>الدرس الثالث: اللسان وآثاره</u>
٢٠	أثر العبادات في تقويم القول
٢٢	تقويم اللسان من أسس الإيمان
٢٤	أثر استقامة اللسان على الأعضاء
٢٥	<u>الدرس الرابع: اللسان وبناء الفرد والمجتمع</u>
٢٥	أثر اللسان في العلاقة بين الفرد والمجتمع
٢٦	استشعار المحاسبة على الأقوال
٢٩	الاهتمام بالقول الحسن وثماره
٣١	<u>الدرس الخامس: مجال السمع ونتائجه</u>
٣١	أهمية السمع للإنسان

٣٣	الحرص على استماع الخير وتجنب سوء
٣٥	تهذيب الشريعة لسمع الإنسان
٣٧	<u>الدرس السادس: وظيفة السمع تجاه النصيحة</u>
٣٧	واجب الشكر للمنعم
٣٩	الحرص على الاستفادة من النصيحة
٤١	أثر التناصح بين أفراد الأمة
٤٣	<u>الدرس السابع: حراسة البصر وأثره في البصيرة</u>
٤٣	أثر حسن استعمال البصر على البصيرة
٤٥	أثر النظر إلى الحرام على قلب المؤمن
٤٦	بصيرم النظر عند المؤمن
٤٩	<u>الدرس الثامن: النظر بعين الرحمة والمودة وآثاره</u>
٤٩	ارتباط البصر ببعض العبادات
٥٢	النظر بعين الرحمة والشفقة والإكرام
٥٣	آثار هذه النظرة في المجتمعات
٥٥	<u>الدرس التاسع: نظرة الاعتبار بالكائنات ودرك المهمات</u>
٥٦	ربط النظر بعظمة الخالق عز وجل
٥٩	النظر في واقع الأمة وأثره
٦١	<u>الدرس العاشر: أثر المصافحة في القلب والمجتمع</u>
٦٢	أثر المصافحة في القلب
٦٣	مصافحة الملائكة للمؤمنين وأثرها

٦٤	المصافحة على وجه المودة والإكرام وآدابها
٦٧	<u>الدرس الحادي عشر</u> مقام نورع اليد عن أخذ ما لا يحل
٦٧	التحذير من التساهل بحقوق الغير
٧١	الورع وسيلة لتحقيق رضوان الله
٧٣	<u>الدرس الثاني عشر</u> : ضوابط الصرب وخطر القتل
٧٢	حدود الضرب في الشريعة
٧٦	التبیه على خطر القتل
٧٩	<u>الدرس الثالث عشر</u> : رعاية ما يدخل البطن
٧٩	مراعاة الحلال في الطعام والشراب
٨٣	التحذير من التهاون بالورع
٨٥	<u>الدرس الرابع عشر</u> : رقعة اليد بسؤال الحق تعالى
٨٥	ذم سؤال الناس
٨٧	كرامة المؤمن في سؤاله لربه
٨٨	وجوب شهود العطاء من الله
٩١	<u>الدرس الخامس عشر</u> حماية النفس والأسر من المظعومات والمشروبات
٩٢	الابتعاد عن المحرمات أساس في النجاة
٩٤	وجوب حماية البيوت من الحرام
٩٧	<u>الدرس السادس عشر</u> : ميزان الجدل ومقاصده
٩٧	من آفات اللسان المراء والجدال
٩٩	التحذير من الخروج عن أدب الجدل

- ١٠١ رعاية آداب الاختلاف
- ١٠٣ الدرس السابع عشر تشارك الأعضاء مع القلب في اكتساب الملك الأكبر
- ١٠٤ توافق استعمال أعضاء المملكة يوم الفرقان
- ١٠٦ طابت الرئاسة فطابت الأعضاء
- ١٠٦ أثر استقامة الرئاسة في مملكة كل فرد
- ١٠٩ الدرس الثامن عشر : سمو الأمنيات والمقاصد
- ١٠٩ آثار التعلق بالمقصد الأعظم
- ١١٣ الصديق مع الله يهذب أمنيات المؤمن
- ١١٧ الدرس التاسع عشر الإحساس والشعور مع المواقيت والذكريات
- ١١٧ الأشهر وما لها من خصوصيات ومزايا
- ١٢٠ السبي واهتمامه بالمواقيت
- ١٢٢ التفاعل مع الأحداث والذكريات
- ١٢٥ الدرس العشرون : وجه بديع في الاستماع
- ١٢٥ حال الأمة مع تأمل آيات القرآن
- ١٢٧ ثمار حسن الاستماع
- ١٢٩ صون السمع عن الكلام القبيح
- ١٣١ الدرس الحادي والعشرون . ارتباط الأقوال بالحال والوجهة والمآل
- ١٣١ عظمة ما يترتب على القول من الثواب والعقاب
- ١٣٣ تفاعل الإنسان مع الأقوال بحسب حاله
- ١٣٥ وجوب تفقد المؤمن لحاله ووجهته ومآله

١٣٧	<u>الدرس الثاني والعشرون: رونق أدب العطاء والأخذ</u>
١٣٧	الإتفاق علامة الإيمان
١٣٩	تقويم النظرة إلى المقصود من المال
١٤١	علو الدرجات على حسب المقاصد والنيات
١٤٣	أدب الأخذ
١٤٥	<u>الدرس الثالث والعشرون: تحبُّر الدعاء وتلمُّح الإخلاص</u>
١٤٥	طلب الكرامة الحقيقية وهي الاستقامة
١٤٧	أنواع الخوارق للعادات
١٤٩	الاعتناء بالدعوات الماثورة في الكتاب والسنة
١٥١	<u>الدرس الرابع والعشرون: نظرات عميقة في السيرة النبوية</u>
١٥١	دروس من فتح مكة
١٥٤	السمو في حسن التعامل
١٥٦	تقويم النظر إلى معنى الملك
١٥٩	<u>الدرس الخامس والعشرون: منطلق المعاملة في الهدى النبوي</u>
١٦١	أسس الانطلاق عند أهل الحق
١٦٢	مثل سامية ونهادج من تعامل النبي
١٦٥	<u>الدرس السادس والعشرون: سعة الشريعة وأدب الخلاف</u>
١٦٥	سعة الشريعة وحكمة تعدد الاجتهادات
١٦٧	أدب الخلاف

١٧١	<u>الدرس السابع والعشرون: وجوب الاعتناء بالخاتمة</u>
١٧١	اهتمام صالحى الأمة بطلب حسن الخاتمة
١٧٣	آداب تساعد على حسن الخاتمة
١٧٤	التعلق بالذنوب من أسباب الموت على سوء الخاتمة
١٧٧	<u>الدرس الثامن والعشرون: الكف عن المحرمات حقيقة التقوى وأساس النجاة</u>
١٧٧	من المهمات حفظ القم والفرج
١٧٩	الإحسان في الكف عن المحرمات
١٨٠	النهي عن مقدمات الحرام
١٨٣	<u>الدرس التاسع والعشرون: مكانة النية والعزيمة</u>
١٨٤	مقومات حسن النية وقوة العزيمة
١٨٥	توسيع النية وإخلاصها لله
١٨٧	بركة الأعمال في النيات
١٨٩	<u>الدرس الثلاثون: النظر إلى العيد ومعانيه</u>
١٩٠	حسن النظر في معنى العيد
١٩١	الأعياد التي تتوالى على المؤمن بعد موته
١٩٣	سمو المؤمن بحسن نظره
١٩٥	المحتوى

بين يدي الكتاب

خصوصية الإنسان هي تهيؤه لمعرفة الله التي لا تكون بشيء من الجوارح، وإنما بالقلب المتهيء للعز والفخر الأكبر بظفره بمعرفة الله، وبهذه الخاصية اكتسبت أعضاؤه في تصرفاتها منزلة خاصة ومكانة رفيعة..

لذلك وجب على الإنسان أن يعلم أن ما يقابله من جميع تصرفات الأعضاء وتفاعلها مع الأحداث منوط بشأن موقعها من القلب الذي هو محل نظر الحق عز وجل..

فشان مملكة القلب مع الأعضاء والجوارح عظيم يترتب عليه حيازة الملك العظيم الدائم أو فقدانه..

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب».

متفق عليه.

